

الأوضاع المعاصرة

وطرق معالجتها

سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
(رئيس المجمع الإسلامى العلمى، ورئيس ندوة العلماء)

تعريب

د. محمد فرمان الندوى

(أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بدار العلوم لندوة العلماء، لكاناؤ (الهند)

الناشر

المجمع الإسلامى العلمى

ندوة العلماء، لكاناؤ (الهند)



حقوق الطبع محفوظة للناسر

الطبعة الأولى

ربيع الأول ١٤٤٤هـ - أكتوبر ٢٠٢٢م

اسم الكتاب	:	الأوضاع المعاصرة وطرق معالجتها
اسم المؤلف	:	السيد محمد الرابع الحسنى الندوى
تعريب	:	محمد فرمان الندوى
عدد الصفحات	:	٦٤
سعر النسخة	:	60/-
الناسر	:	المجمع الإسلامى العلمى (الهند)
العنوان	:	نلوة العلماء ، لكاناؤ

﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ
أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ فِي
الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْ أَنْجَيْنَا مِنْهُمْ
وَاتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أُتْرِفُوا فِيهِ
وَكَانُوا مُجْرِمِينَ﴾ . [هود: ١١٦]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

بين يدي الكتاب

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين، محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. أما بعد :

فان الله تعالى قد أكرم الإنسانية بشريعة كاملة شاملة، تبقى إلى يوم القيامة، وهي تستوفي جميع حاجيات الإنسان، في كل مرحلة من مراحل الحياة، وهذه الشريعة نزلت على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم من فوق سبع سماوات، وقد كانت من قبل شرائع للأنبياء الماضين، لكنها كانت موقته ومحدودة بزمان، لكن الشريعة التي جاء بها النبي صلى الله عليه وسلم تخلد إلى يوم القيامة، وتخطب جميع طبقات البشر، وتوجد فيها حلول مقنعة للقضايا التي تتعرض لها الإنسانية عبر العصور.

ومن سنة الله في هذا الكون أنه كان يبعث في كل زمن من الأزمان بعد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم مجددّين ومصلحين، يشرحون هذه الشريعة شرحاً وافياً، حسب مقتضيات الزمان، وينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، كما جاء في الحديث الشريف، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين. (عن أبي هريرة في مسند البزار: ٩٤٢٣)

فهذه الشريعة الإسلامية ظلت مصدر إشعاع إيماني للحياة الإنسانية، وكان الناس يرجعون إليها في حل كل معضلة اجتماعية، وقد حذر الله تعالى الذين لا يؤمنون بالشريعة بكونهم كافرين وفاسقين وظالمين، قال تعالى: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون، ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون.

ومما يسرني أن الله تعالى قد وفقني لإلقاء كلمات في اجتماعات ومؤتمرات مختلفة، كان لها وقع في نفوس المستمعين، ونشرت هذه الكلمات في الصحف والمجلات، فازاد نفعها، كما نشرت في صورة كتيبات أردية، وقد خطر ببال الأستاذ محمد فرمان الندوي (أستاذ كلية اللغة العربية وآدابها بجامعة ندوة العلماء، ومدير تحرير مجلة البعث الإسلامي) أن ينقل هذه الكلمات إلى العربية، فجزاه الله خيراً، وقد نشرت هذه الكلمات في حلقات متتابعة في مجلة البعث الإسلامي الصادرة من ندوة العلماء. وتنشر الآن هذه الكلمات باللغة العربية في صورة كتيب من المجمع الإسلامي العلمي، بل كناؤ.

ندعو الله تعالى أن يتقبل هذا العمل، ويجعله نافعا للجميع. والله ولي التوفيق.

كتبها

محمد الرابع الحسني الندوي

ندوة العلماء، لكناؤ (الهند)

١٤٤٤/٢/٧ هـ

٢٠٢٢/٩/٥ م

الصحابه الكرام رضي الله عنهم ومكانتهم الرفيعة (*)

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد :

فإن سيرة خاتم النبيين صلى الله عليه وسلم وطبيعته في الإسلام أثرت في الناس تأثيراً ، لم يكن عند الأنبياء الماضين ، لأن في الفطرة الإنسانية درجات متفاوتة للأنس وعدمه ، فإن الإنسان يشعر بعض الأحيان بالأنس ، وبعض الأحيان بعدم الأنس ، وله أسباب ودواع ، تؤثر بأثرها ، فإن الأب يأنس بالابن ، رغم أن وجهه يماثل وجه ابنه الآخر ، لكن يعرض عنه نظراً إلى وجهه بعض الأحيان ، وتارة يكون هذا الأمر أشد وأعرق ، كذلك شأن الحب والمحبوب ، تظهر أحوال الأنس وعدم الأنس عند الزيارة ولقاء بعضهم بعضاً ، هذه سنة الله في الأرض ، فلم يجعلها الله عبثاً وبدون هدف ، فإن في كل شيء حكمة ، فكذلك في الأنس حكمة ، وضع الله لها أسباباً فطرية وغير فطرية ، يمر بها كل فرد ، فيأنس برجل حيناً كما يشعر منه بكرهية في الطبيعة حيناً آخر ، وقد أودعت في فطرة الإنسان رقة ولطافة ، ووُضعت فيها خواص غريبة ، وجُعِل كل رجل مختلفاً عن الآخر ، لو لم يكن ذلك ما كان هناك فرق بين عين وعين ، وبين بصمة وأخرى ، فإن أشعة العيون وبصمات

(*) نشرت هذه الكلمة بالأردنية كمقدمة على كتاب : تاريخ الإصلاح والتربية (٢) للأستاذ

الأصابع تدل على فصل كل شخص عن الآخر، وله مزايا وخواص،
يتأثر بها كل من ينظر إليها..

روائع من الحب والفداء:

فقد كان لوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم المشرق تأثير بالغ
بحيث إذا رآه أحد فداه بنفسه وروحه، وانقلب حاله، قال سيدنا حسان
بن ثابت رضي الله عنه:

وأحسن منك لم تر قط عيني
وأجمل منك لم تلد النساء
خُلقت مبرءاً من كل عيب
كَأنك قد خُلقت كما تشاء

١. سئل الصحابي خبيب بن عدي وهو يصب: أتحب أن يكون محمد
مكانك وأنت ناج؟ قال: والله ما أحب أن أكون آمناً وادعاً في أهلي
وولدي وأن محمداً يوخز بشوكة.....، فكل من زار محمداً صلى الله
عليه وسلم أو لقيه بلغ إلى آخر درجة من الحب والهيام وملكته حالة
العشق، واستولت عليه آخر حالة من الفداء، وكل ذلك كان بتأثير
وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلامه الجميل.

٢. أخذ أعرابي سيف رسول الله صلى الله عليه وسلم، وأراد أن
يقتله، فقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم: من يمنعك مني؟
قال صلى الله عليه وسلم: الله، فسقط السيف من يده وأخذه
رسول الله صلى الله عليه وسلم، وصفح عنه وخلي سبيله.

٣. قصة إسلام سيدنا عمر رضي الله عنه مشهورة جداً، خرج من
بيته وهو يحمل سيفه، سمع في الطريق أن أخته وزوجها أسلمتا،
فرجع إلى بيتهما وسمع أول سورة طه من القرآن الكريم فانقلب

حاله ، ثم قصد النبي صلى الله عليه وسلم ، ولما وصل إليه خشي الصحابة من قدوم عمر الجريئ الباسل ، سأله النبي صلى الله عليه وسلم : ما الذي جاء بك يا عمر ! قال : كنت قد جئت لأمر آخر ، لكن أريد الآن أن أشهد أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٤. وقصة سيدنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وهو يقول : " ما كان أحد أبغض إلى نفسي من محمد ، لكن حينما أسلمت فصار أحب الخلق إلى نفسي " .

٥. وقصة السيدة هند أم معاوية رضي الله عنهما ذكرها أصحاب السير والتراجم ، وورد ذكرها في صحيح البخاري : أنها بايعت وقالت له : يا رسول الله ! ما كان على ظهر الأرض من أهل خباء أحب إلى أن يذلوا من أهل خبائك ، ثم ما أصبح اليوم على ظهر الأرض أهل خباء أحب إلي أن يعزوا من أهل خبائك (كتاب المناقب ، صحيح البخاري ، رقم الحديث : ٣٦١٣) وقصص إسلام أبي مخذورة وفصالة بن عبيد والصحابة الآخرين تدل على هذا الأمر دلالة واضحة .

الخلافاء الراشدون وحبهم للنبي صلى الله عليه وسلم :

فأهل البيت الذين صحبوا النبي صلى الله عليه وسلم داخل البيت وخارجه ، كم كانوا معجبين به ؟ فهؤلاء اجتمعت لهم علاقة ثنائية : شرف الصحابة ونسبة البيت ، فشاهدوا رسول الله صلى الله عليه وسلم في كلا الموضعين ، إن سيدنا علي بن أبي طالب قد نشأ تحت حضانته ، وأصبح صهراً له ، وحينما بدأ النبي صلى الله عليه وسلم المؤاخاة في المدينة آخى مع علي بن أبي طالب ، وكان محبباً لديه . كذلك شأن أبي

بكر الصديق رضي الله عنه، كانت علاقته مع النبي صلى الله عليه وسلم قبل النبوة وطيدة، فصحب النبي صلى الله عليه وسلم كثيراً، وانسجمت طبيعته مع طبيعة النبي صلى الله عليه وسلم، وكان سيدنا عمر قد أكرمه الله بخصائص يتميز بها عن غيره، فلم يقع سيدنا أبو بكر رضي الله عنه في شك نحو تعيينه للخلافة، رغم أن أبا بكر رضي الله عنه كان رحيماً، وكان عمر رضي الله عنه شديداً في شئون الدين، أما سيدنا عثمان رضي الله عنه فقد ملكه الحياء، فيستحي منه الملائكة، وقصة فدائه وحبّه للنبي صلى الله عليه وسلم مشهورة، وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم خرج مع أصحابه للعمرة من المدينة المنورة، فأقيمت سدود في طريقهم نحو مكة في الحديبية، فبعث النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا عثمان رضي الله عنه للقضاء في هذا الأمر، فذهب إلى مكة، لكنه لم يطف الكعبة، لأن النبي صلى الله عليه وسلم قد منع منه، ولأنه قد أرسل لأمر آخر، فلم يرض أن يطوف، فبوع في الحديبية ببيعة الرضوان، في ظهر الغيب لسيدنا عثمان رضي الله عنه، هذه ميزة تختص بسيدنا عثمان رضي الله عنه.

وقد نال سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه منذ أول يومه صحبة الرسول صلى الله عليه وسلم وتشرف بخدمته، كما كان نائباً عنه في بعض مناسباته، ويتصف بالعلم الغزير والحكمة البالغة. وردت فضائل هؤلاء الأربعة في حديث، قال صلى الله عليه وسلم: أرحم أمتي بأمتي أبو بكر وأشدّهم في أمر الله عمر، وأحياهم عثمان وأقضاهم علي. (روي عن أنس، أخرجه الترمذي)، أضف إلى ذلك أن صلى الله عليه وسلم ترك عنده الأمانات وقت الهجرة، وظل مثابراً أمام الأعداء، وردّ الودائع إلى أهلها، وقد وكل إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم

الراية في غزوة خيبر، وقال: " لأعطين الراية غداً رجلاً يحب الله ورسوله ويفتح الله على يديه ". وفي عام ٩ من الهجرة حينما أرسل أبا بكر أميراً للحج أتبع سيدنا علي بن أبي طالب بإعلانات وتوجيهات للمشركين. ومن قبل في غزوة بدر رشح النبي صلى الله عليه وسلم سيدنا علي بن أبي طالب لمقاومة الأعداء ومجازفة الأخطار، رغم أنه كان أحب إليه، فهزم سيدنا علي بن أبي طالب الأعداء شر هزيمة.

فتح مبين لا فتح مهين:

كانت الأوضاع في جزيرة العرب أشد خطورة إلى صلح الحديبية، فإن صلح الحديبية وإن كان صلحاً مهيناً في الظاهر، لكنه كان صلحاً ميبناً، وقد سمّاه القرآن الكريم فتحاً ميبناً، قال تعالى: إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا (الفتح: ١)، وامتد الصلح إلى سنتين أو سنة ونصف سنة، فقد آمن فيها عدد كبير لم يؤمن في السنوات الماضية، ودخل في الإسلام أبطال ومغاوير خدموا الإسلام خدمة مثالية، لا يوجد لها نظير، كفانا ذكر خالد بن الوليد وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، اللذين أبليا بلاءً حسناً في حياة النبي صلى الله عليه وسلم وبعده.

شهد كفار مكة خلال إملاء بنود صلح الحديبية منظراً لا يوافق العقل الإنساني، وهو دليل على حب أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم له، وفدائهم له، فإنهم قالوا لأصحابهم: " والله ما تنخم رسول الله صلى الله عليه وسلم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده "، هذا وأمثاله من الأحوال تدل دلالة واضحة على أن من انضم إلى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم انقلب حاله، وصار عاشقاً هيّمان له، ويتقدم عامة الناس بدرجات في الحب من المحبوب.

الله الله في أصحابي:

الواقع أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قد اختارهم الله تعالى لنشر دين نبيه محمد صلى الله عليه وسلم وتبليغه إلى الناس كافة بكل صدق وأمانة، فمن انتخبه الله تعالى لحمل رسالته جعله أفضل خلق، ولما قدر الله تعالى أن يجعل محمداً صلى الله عليه وسلم نبياً وکَلَّ إليه مسئولية ختم النبوة وجعل سيرته وأمانته أيضاً مثاليتين. لكن الرجال الذين لم يدخلوا في الإسلام في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لم يستعملهم في طاعته، فعُرفوا بين الناس بالكافرين والمنافقين، أو الأعراب البدو، أما الذين أسلموا في فتح مكة بضغط ظاهر، فقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم ما أعطى من العطايا الكبار، وخصهم بنفسه، وأعلن لهم إعلاناً عاماً للعفو والصفح، بحيث انقلبت حالة الحرب إلى حالة سلم وأمن، وأخوة ومودة، واحتال صلى الله عليه وسلم في العفو، وعفا عن الأعداء الألداء الذين يواجهون الإسلام دائماً، فأسلم عدد كبير منهم وتشرف بنعمة الصحبة النبوية، قال أنصاري وهو يحمل لواء: اليوم يوم الملحمة، فأخذ منه اللواء وأعطى ابنه قيس بن سعد ابن عباد، وقال: اليوم يوم الرحمة.

ثم تلافي هؤلاء ما فاتهم من جهاد وخدمة للدين الحنيف، وقدموا تضحيات جبارة لابتغاء وجه الله تعالى، وقام بعض منهم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بمساع مشكورة سجلت بمداد من نور، أمثال عكرمة بن أبي جهل ووحشي بن حرب رضي الله عنهما، كان وحشي بن حرب يستحيي من المثل بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم، لأنه قتل سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، فيذكره النبي صلى الله عليه وسلم، ويكون سبباً لضياح إيمانه، كذلك كانت عداوة أبي جهل، فكان

ولده عكرمة، لكن النبي صلى الله عليه وسلم استقبل وحشياً وعكرمة كليهما، وقال: هذا أمر الله، من شاء هداه ومن شاء رفع درجته. وزاد من مكانة هؤلاء الصحابة بأحاديثه: لا تسبوا أصحابي (البخاري: ٣٣٩٧، ومسلم: ٤٦١١، عن أبي سعيد الخدري) "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضاً من بعدي (رواه أحمد والترمذي). وقد ذكرهم الله تعالى في القرآن الكريم بكلمة: والذين معه، أو ما يمثله من الكلمات.

وقد نهى سيدنا أبو بكر الصديق رضي الله عنه عن الهجرة أولاً، ثم أمر بأن يهاجر مع النبي صلى الله عليه وسلم، ولما أوى إلى غار ثور وهو على أعلى مكان من الجبل، خارج مكة المكرمة في المرحلة الابتدائية لرحلة الهجرة، ووصل إليه الأعداء، ورأى أبو بكر رضي الله عنه أرجلهم، وخاف شيئاً على نفسه وعلى محمد صلى الله عليه وسلم، سكته النبي صلى الله عليه وسلم، وقد عبّر عنه القرآن الكريم بكلمة "صاحبه": إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا.

حينما قال النبي صلى الله عليه وسلم لصاحبه: لَا تَحْزَنْ، إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا، وقدمه النبي صلى الله عليه وسلم في آخر أيام حياته للإمامة بكل تأكيد، واعتبره سيدنا علي بن أبي طالب دليلاً على خلافته، وكان يقول: إذا فوّضت إليه الإمامة في الصلاة وهي أهم الأمور الدينية، فهو أحق بالإمامة في الشؤون الدنيوية، فقبلناه فرحين مسرورين.

ولما أثار المنافقون شبهات حول ابنته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، وأبدى عفتها وطهارتها، واعتبرتها وجميع الأزواج المطهرات "أمهات المؤمنين" وقال: أَلَنْبَىٰ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ (الأحزاب: ٦). وذكر في موضع آخر خصائصهن وصفاتهن قائلاً: إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ

الرَّجْسَ أَهْلَ آيَاتِهِ وَيُطَهِّرُكُمْ تَطْهِيراً (الأحزاب: ٣٣) مع ما أشار إليه من مكاتبتهم وعلو شأنهم، قد ضم النبي صلى الله عليه وسلم ابنته الحبيبة وابن عمه علياً وابنيه الحسن والحسين (رضي الله عنهم) إلى هذه الخصائص، وقال عنهم كلمات وأحاديث تبين مكاتبتهم وحبهم وفداءهم له، وهي مسجلة معلومة في الحديث النبوي والسيرة الطيبة.

الصحابة الكرام ومكانتهم الرفيعة في القرآن الكريم:

ومن مزايا الصحابة الكرام البارزة أنه كلما نزل حكم من أحكام الله تعالى عملوا به، وإذا صدر منهم خطأ لم يطمئنا حتى يتوبوا إلى الله تعالى، فلم يمدحهم الله تعالى عفواً، بل قال عنهم بكل تفصيل: مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعاً سُجّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَاناً سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً (الفتح: ٢٩).

هذه هي المكانة الرفيعة للصحابة الكرام رضي الله عنهم، وذكر القرآن الكرام بجانب هؤلاء الصحابة أولئك الذين يعتبرون أنفسهم من الصحابة، لكن سلوكياتهم كانت تختلف عن سيرة الصحابة رضي الله عنهم، وردت عنهم كلمات: المنافقون أو الخادعون. فكان يعامل النبي صلى الله عليه وسلم معهم معاملة حسنة، وكان هذا التعامل إلى آخر مداه، لكن نزلت عنهم هذه الآية: سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (المنافقون: ٦)، وعاش هذا الصنف بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم أيضاً، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم حذيفة بن اليمان

بهؤلاء، وفي زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه حينما وزعت المسئوليات، سأله عمر رضي الله عنه هل تقلد أحداً منهم المسئولية؟ فأخبره بدون ذكر اسمه، ففترس سيدنا عمر رضي الله عنه وعزله عن وظيفته، أما اختلاف الصحابة رضي الله عنهم فتتفرع منه مسائل وأحكام فقهية كثيرة.

بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بعثة مقرونة:

وإن الإسلام الذي هو دين الإنسانية جمعاء وهو دين خالد إلى يوم القيامة لقوله صلى الله عليه وسلم: لا نبي بعدي (سنن الترمذي) وقوله تعالى: وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ (الأنبياء: ١٠٧) وقوله تعالى: مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ (الأحزاب: ٤٠) وفوضت إلى الصحابة رضي الله عنهم مسئولية دعوته، صار الإسلام ديناً كاملاً، ثم لحق رسول الله صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى فاشتغل الصحابة رضي الله عنهم بتبليغ رسالته وتطبيق دينه وشريعته فكانت بعثته بعثة مقرونة، بعثت معه أمة بكاملها لأداء مهمته، قال تعالى: كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ (آل عمران: ١١٠).

لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل:

أما التفاوت في مراتب الصحابة ودرجاتهم فهو بتضحياتهم وتقدمهم في الإسلام وزيادتهم في الإيمان والإيثار والأخلاق والأعمال - ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ - فلا يبلغ ولي أو عابد أو مجاهد أو تقي أو عبقر أو تابعي درجة صحابي، ولو رأى النبي صلى الله عليه وسلم لحظة بإيمانه ومات عليه. حتى لا يمكن أن نوازن بينه وبين رجل وجد عصره صلى الله عليه وسلم، لكنه لم يره، فالغيب عند الله تعالى.

وليعلم أن هؤلاء الصحابة لو آمنوا جميعاً في مناسبة، أو مروا بحالة واحدة أو لم تصدر منهم أخطاء لعارض هذا الأمر القرآن والشرعة الإسلامية، حتى الارتداد ثم الدخول في الإسلام أو إجراء الحدود والتعزيرات عليهم، كل ذلك له مصلحة دينية، فإن هؤلاء كانوا مقبولين عند الله تعالى أو على أعلى درجة من الآخرين. والصحابة الذين ملكوا نظام الحكم نفذوا شريعة الله تعالى في شئونهم، ورغم ذلك كله كانوا خائفين، كذلك كان حال سيدنا معاوية رضي الله عنه، لم يقدم نفسه كخليفة راشد، إلا أن جميع الرعايا في نظام حكمه استراحوا واطمأنوا، رضي الله عنهم ورضوا عنه.

هجر أسوة الصحابة سبب للناصبية والرفض:

لكل من الصحابة وأهل البيت مكانة ودرجة، وتوجد بينهم عظمة واحترام بعضهم بعضاً، وقد جمع أهل السنة والجماعة بين حب الصحابة وأهل البيت، وأدوا واجباتهما، فمن ترك منهم طريق الاعتدال مال إلى الناصبية والخوارج أو إلى الرفض والشيعة، وانحرف عن الصراط المستقيم. وتظهر أمثال هذه الأمور حيناً لآخر في مختلف المناسبات، فلا بد لهم من التواصي بالحق.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه وبارك وسلم تسليماً كثيراً كثيراً.

الإيمان والمادية وصراعهما في الحياة الإنسانية^(*)

وردت في الحديث النبوي فضائل سورة الكهف، وبوجه خاص عن تلاوة هذه السورة يوم الجمعة، قال النبي صلى الله عليه وسلم: من قرأ سورة الكهف ليلة الجمعة أضاء له من النور فيما بينه وبين البيت العتيق (سنن الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب في فضل سورة الكهف: ٣٤٧٠)، وورد في حديث آخر أن هذه السورة تعصم من فتنة الدجال، قال صلى الله عليه وسلم: من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف عصم من الدجال (صحيح مسلم، كتاب صلاة المسافرين، باب فضل سورة الكهف ١٩١٩)، وقال الله تعالى في هذه السورة: إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (الكهف: ٧).

يتبين من دراسة هذه السورة مدى علاقتها بفتنة الدجال، لأن المعاني والمفاهيم الذي ذكرت في هذه السورة تشير إليها، وفتنة الدجال هي فتنة المادية، وقد قرر الله تعالى المادية لابتناء الإنسان كما ورد ذكره في الآية السابقة الذكر، خلق الله هذا الكون، ووضع فيه أسباب العيش واللذة، ولم تكن هذه الأشياء كالمعرض الدنيوي الذي يوجد فيه كل نوع من الأشياء، للصغار والكبار، ويقام لمجرد السمعة والتمتع، فلم يخلق الله هذه الدنيا لمثل هذه الغايات، بل جعلها دار ابتلاء وامتحان، وقد أشارت الآية إلى أن كل ما على الأرض، وما فيها من أسباب الزينة

^(*) نشر المقال باللغة الأردنية في صحيفة تعمير حياة الصادرة من ندوة العلماء.

يهدف إلى الابتلاء والامتحان، ومعنى الزينة أن يعجب الإنسان بشيء رآه، وينتفع به، فجميع الأشياء المادية تستأنس بها النفس، وتسربها، وتستكمل منها حاجاتها، وقد ازدهر الإنسان في هذا العصر ازدهاراً مادياً، وما وصل إلينا من حضارة الغرب هو حضارة مادية، فالفكرة المادية أن كل شيء وجد بلا موجد، وخلق بدون خالق، وخلق الإنسان للتمتع من هذه الدنيا، فعليه أن ينتفع به انتفاعاً كاملاً، وليس عليه شكر من أحسن إليه.

وإن فكرة الإسلام تغاير الفكرة المادية، وهى تشرح أن هذا الكون لم يُخلق عبثاً، ولم يُترك سدى، بل هو تقدير العزيز الحكيم، وكان وراء خلق الكون غاية، وهى ابتلاء الإنسان، يختبر الله تعالى الإنسان: من هو أحسن عملاً، فقال: **إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا**، ومن يعمل عملاً حسناً، هل هو يعمل حسب هواه ونفسه ولمنافعه العاجلة أم يعمل لابتغاء الله تعالى؟ وقد شرح الله تعالى في القرآن الكريم حقيقة حياة المؤمنين فقال: **إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ (التوبة: ١١١)**، فكان اشتراء الله أنفس المؤمنين وأموالهم بدل أن لهم الجنة، وقد منح الله تعالى الإنسان بعد هذا البيع خيار استعمالها، كما يمنح بعض بعضاً شيئاً على سبيل العارية، ثم متى شاء أخذه منه، كذلك اشترى الله منا أموالنا وأنفسنا، وهى ملك لله تعالى، لكنه لم يأخذها منا، بل أمرنا باستعماها ما دُمنا أحياء في هذه الدنيا، فإذا انتقلنا إلى الله رُدَّتْ هذه الأنفس والأموال إلى الله تعالى، الواقع أن هذا الكون خلقه الله تعالى تحقيقاً لهذه الغاية، فكان خلق الإنسان في زمانه وفي أوضاعه بلاءً عظيماً له، ليعلم هل يحسن عمله أم لا؟

تشير سورة الكهف إلى هذه الفكرة بين الإيمان والمادية: فإن

قصصها الأربع تكشف هذه الحقيقة، وهى أن كل شئ في الدنيا لم يخلق فجاءة، ولم يجعله تمتعاً، بل خلقه الله تعالى، وذلك بحكمته البالغة، وإن ما يوجد في الدنيا من العلوم والتكنولوجيا، والماكينات الحديثة التى يستفيد منها لم يخلقها الإنسان، بل اكتشفها بعلم الله تعالى، وبين الخلق والاكتشاف بون شاسع، مثال ذلك أن رجلاً قد أودع في غرفة أمتعة وأقمشة كثيرة لم يكن لديك علم بها، لكنك حينما تفتح بابها تطلع على هذه الأمتعة، فالواقع أنك لم تصنع هذه الأمتعة، ولم تضعها في هذه الغرفة، بل اطلعت عليها بعلمك، وبدأت تستعملها، فعليك أن تفكر في هذا الشأن: من وضع هذه الأمتعة في الغرفة، ولماذا وضعها؟ لا بد من الاطلاع على هذين الأمرين؟ ثم لك الخيار في أن تستعمل هذه الأمتعة، أو لا تستعمل؟ كذلك طرح الله تعالى هذه الأسئلة: من خلق هذه الدنيا؟ ولماذا خلقها؟ ثم يكون لك خيار في أن تستفيد من متاع الدنيا، وتستحق أن تقضى بها حاجتك.

فإذا تم للإنسان الاطلاع على هذه الأسئلة انكشف له جلياً أن الله خلق هذا الكون، فبالتالى يجب عليه الشكر لله تعالى، ويعرف كذلك غاية خلق هذا الكون، فيسدد خطاه، وقد أشار النبى صلى الله عليه وسلم إلى غاية خلق الإنسان والدنيا فقال: إنكم خلقتُم للآخرة، والدنيا خلقت لكم (شعب الإيمان: ١٠٥٨١)، شرح هذا الحديث هدف خلق الإنسان والدنيا، فكان من واجبات الدنيا أن تقضى حاجة الإنسان وتنفعه، لكن عليك أن تفكر في الآخرة وتعمل عمل الآخرة، فأصبحت الدنيا ذريعةً لنيل غايتنا، فلا نسرف في العمل، ولا نغدر، ولا نغصب حق شخص، ولا يضر بعضنا بعضاً، ونستفيد من الدنيا وفق حاجاتنا إليها، لأن الله خلق هذه الدنيا لنا،

وخلقنا للآخرة، فتكون الآخرة من أولوياتنا، فنستفيد من الدنيا مثل ما تكون لازمة لبناء آخرتنا.

بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم في مكة المكرمة، حيث كان الكفار ماديين، يؤمنون بالله، لكنهم يعتقدون أن الله تعالى قد فرغ من خلق جميع الأشياء، فكل ما يوجد في الدنيا تحت أمرنا، ولا نكون مسئولين أمام أحد، هذه هي فلسفة الحضارة المعاصرة، وفكرتها أن كل ما في الكون خلق بدون خالق، لم يخلقه أحد، ونملك حق استعماله كيفما شئنا، لأننا نملكه، فليس لدى هؤلاء عقيدة توحيد الله وإفراد الألوهية له، فإنهم يقومون بتأويل كل شيء تأويلاً مادياً، وفي نهاية المطاف يكونون عاجزين وحيارى عن حل هذه المشكلة، ولم يكن لديهم جواب عنها، فإذا سألهم سائل: كيف كان نظام هذا الكون الكبير والدقيق اندهشوا بمجرد هذا السؤال، ولم يردوا عليه جواباً، إلا أن الأذكىاء منهم يقولون: يتجلى من التأمل في نظام الكون أن وراءه خالقاً وصانعاً، فلا يؤمنون به، ولا يعتقدونه رباً وإلهاً، لأن أساس فكرتهم كان مادياً.

أكرمنا الله تعالى بهذا الدين بواسطة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وشرح لنا عقائد التوحيد من نواحي شتى، وأخبرنا في ضوء قصص هذه السورة أنكم تنظرون في الظاهر أن كل شيء في هذا الكون يجري بنفسه، كالماء الذي يسيل من مكان منحدر، لكن الواقع أنه يجري تحت أمر الله تعالى وقدرته، يصاب الإنسان بمرض، ويكون معافى في جسده، كل ذلك بإذن الله تعالى، وأعمار الناس ونظام ولائهم من أسر وسلالات، وفي مواضع وأمكنة وأوضاع وأزمان، كل ذلك من تقدير العزيز الحكيم، الذي ذكره الله تعالى بالكتاب، قدر الله هذا الكون قبل

خلقه، ثم خلق، فهو يسير حسب ما قدر وهدى، ولم يترك الكون بعد إنشائه هملاً ضائعاً، بل يجري كل شيء بإذن الله، وكل دقيق وجليل في علمه، وهو قادر على أمور العباد، حتى الأدوية التي نستعملها تنفع بإذنه، وإذا أراد الله سلب من العلاج بالدواء صلاحية النفع وإفادة الصخة، هذا ما يعتقده أهل الإيمان.

أما الفكرة المادية فهي تضاد فكرة أهل الإيمان، فإن زعماءها يزعمون أنهم صنعوا كل شيء، فإنهم يعتبرون الاكتشاف إيجاداً وخلقاً، وبين الإيجاد والاكتشاف فرق كبير، فإنهم لم يخلقوا شيئاً، بل أعطاهم الله تعالى إياه، فليعلم كل واحد منا أننا ما خلقنا شيئاً، بل خلق الله كل شيء، فإنه أكرمنا بهذه الأشياء للاستفادة منها، ومنحنا حق التصرف فيها، نستعملها حسب مشيئته، مثلاً المحصول الزراعى لا ينبت من الأرض إلا ما أذن الله تعالى له، ولا يتصرف فيه أحد شيئاً، فإذا حاول الإنسان في إنبات زراعات كثيرة فالله قادر على إتلاف هذه الزراعات في دقائق وثنوان، فلا يستطيع أن يقول إنسان: هو ينبت مقداراً كثيراً من غلة الطعام، ولا بستانى يدعى: إنه يثمر في أشجاره ثماراً كثيرة.

ذكر الله تعالى في هذه السورة قصة صاحب الجنتين، كان له بستان كبير، ومحصول زراعى، وكان فرحاً مسروراً، فبدأ يتبخر، ويقول: هذا من عند نفسى، ووعظه صاحبه وقال له: ليس من المناسب أن تكون معجباً بما لك، ومغروراً بنفسك، هذا كله من الله سبحانه وتعالى، فكما أن الله أعطاك هذا المال، كذلك هو قادر على سابه وإتلافه، فأنار قول صاحب الجنتين غير الله سبحانه وتعالى، وأحيط بثمره، وطاف على بستانه طائف من السماء، فاحترق، وقال: يا ليتنى لم أشرك بربى أحداً. وَلَمْ تَكُنْ لَهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ

مُنْتَصِرًا. هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا. (سورة الكهف: ٤٢ - ٤٤).

أنزل الله تعالى القرآن الكريم كمعجزة ربانية، وهو كلام الله الذي لا يعادله كلام آخر، كان في العرب شعراء فطاحل، يعتزون بكلامهم، ويعتقدون أن أي شاعر لا يضارعهم في شعرهم وأدبهم، لكن لما نزل كلام الله تعالى، واطلم عليه العرب ذهشوا منه، ولم يجدوا في أنفسهم قوة لتحدي هذا الكلام، فتحداهم القرآن الكريم: إذا ظننتم أن القرآن ليس كلام الله تعالى، فأتوا بمثله، وقال في مفتتح هذه السورة: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا. قِيمًا لِيُنْذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّنْ لَّدُنْهُ، وذلك لتكشف هذه الحقيقة أن نظام الكون كله بيد الله تعالى، وهو الذي يدبر الأمر، فليس معناه أنه ترك الكون هملًا بعد ما خلقه، ووكله إلى أحد، بل معناه أن الله تعالى خلق الكون، وكل ما فيه من المخلوقات تحت تصرفه وقدرته، فلا يمكن أن يبدل أحد شيئاً منه.

وتهدف سورة الكهف إلى أن تبشر الذين آمنوا، وعملوا الصالحات، فبشرهم الله تعالى بالأجر الحسن، وهو يرزقهم يوم القيامة أجراً لا ينفد، لا يستطيع إنسان أن يتصور في هذه الدنيا كيف يكون أجر الآخرة، لأن هذه الدنيا فانية، ومتاعها ونعيمها يدرك الفناء كذلك، ومن حسنات الآخرة أن كل شيء يبقى إلى أبد الدهر، فلا يفنى ولا ينفد، ولا يحذر في الآخرة الموت والهلاك، وكل ما يكرم به أهل الإيمان في الجنة يخلد خلود الزمان.

وتشير هذه السورة إلى أن القرآن الكريم أنزل لإنذار الذين اتخذوا الله ولداً، وأنهم سيجزون جزاءً سيئاً نتيجة لهذه القولة القبيحة، وقد صرح الله تعالى أن هذا الادعاء كان وراء الجهل وعدم العلم ما أنزل الله به من

سلطان، وكان زعم هؤلاء المجرمين على القياس، بحيث إن الله تعالى قد أعطى سيدنا عيسى عليه السلام خيارات وخوارق للعادة، فهو ابن الله، رغم أن سيدنا عيسى عليه السلام نبي من أنبياء الله، وصفي من أصفياه، وقد أفرط اليهود إفراطاً في شأن يعقوب عليه السلام، وجعلوا عزيزاً عليه السلام ابناً لله تعالى، فلا يكون معنى (مختار ومرضى ومحبوب) ابناً وولداً أبداً، الواقع أن الأنبياء كلهم عباد الله تعالى، خلقهم الله تعالى، فلا يكونون جزءاً من الله، ونظراً إلى هذه الحقيقة قال الله تعالى: مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ، أليس من السخف أن يفترى الإنسان الكذب على الله الذي خلق الكائنات كلها، ووفر للإنسان جميع النعم الظاهرة والباطنة، ويده الأمر كله، يحى ويميت في دقيقة وثانية، ويدفع البلايا والمحن الشداد في طرفة عين، لكن الإنسان ظلوم جهول، يتكلم بمثل هذه الأقاويل عن الله سبحانه وتعالى كما كان يقولها الكافرون.

فَلَعَلَّكَ بَآخِمْ نَفْسِكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا.

لفت القرآن في هذه الآية النبي المصطفى صلى الله عليه وسلم إلى هذه الحقيقة: يا محمد صلى الله عليه وسلم! لا تجزع من كفر الكافرين والمشركين، ولا تبخع نفسك وراء هدايتهم وإيمانهم، فإنك لست مكلفاً لذلك، وما عليك إلا البلاغ، يعلم الله تعالى أن هؤلاء المشركين يؤمنون أم لا يؤمنون؟ فإنه يعلم خائنة الأعين وما تخفى الصدور، وعنده علم الماضي والحال والمستقبل، مثال ذلك أن رجلاً إذا كان جالساً في داخل الغرفة، فلا يخبر إلا بما في الغرفة، وأما الرجل الذي كان جالساً خارج الغرفة، وهو ينظر كل شيء في الخارج فهو يخبر كل من يأتى إلى الغرفة، ومن دخل الغرفة، كذلك كان نظام الله تعالى أنه خلق الماضي والحال والمستقبل، فهو يعلم ماذا وقع في الماضي، وما يقع الآن، وماذا يحدث

في المستقبل؟ فيعلم الله تعالى عن كل إنسان: ماذا يكسب غداً، فقال تعالى عن نبيه: **فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَا** **الْحَدِيثِ أَسَفًا**.

إن الله تعالى أرحم الراحمين، لا يضل إنساناً عن سبيله، بل يضل الإنسان بعمل من أعماله، ولم يخير الله الحيوان كما خيّر الإنسان، فلا يمكن أن يغرس حيوان غرساً، ولا يثمر ثمرأً، ولا ينبت نباتاً، ولا يزرع زرعاً، ولا يحفر بئراً، ولا ينشئ سقياً ماء، فلا يعمل حيوان عملاً باختياره، فإذا وجد عشباً أكله، وإذا رأى بركة ماء شرب منها، لكن الله تعالى خلق الإنسان مخيراً، وأعطاه يتصرف في دائرة محدودة، ذلك ليعلم الله تعالى أنه يستعمل إرادته لصالح الأعمال أو عكس ذلك، وهل يجتنب المعاصي والمنكرات أم لا، رغم أن الله تعالى يعلم من يهتدي، ومن يضل؟ لذلك خاطب نبيه قائلاً: **لَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَفْسَكَ أَلَّا يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ** (الشعراء: ٣).

إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا (الكهف: ٧).

أخبر الله تعالى في هذه الآية بأساس الحياة الإنسانية أن ما زينا الأرض من الجمال والبهجة، وما أودعنا فيها من المنافع، ما حرّمناه على المؤمنين، وهم ينالون جزاء أحسن من ذلك في الآخرة، أما نعم الدنيا فإن المؤمنين والمشرّكين يشاركون فيها، وقد هيا الله تعالى للمؤمنين والكفار فرص الانتفاع بنعم الدنيا، لكن أهل الإيمان ينتفعون بها حسب ما جاء في الشريعة الإسلامية، ولا ينال نعم الآخرة في الجنة إلا المؤمنون، أما الكافرون فإنهم ينتفعون بها في الدنيا كيفما شاءوا، ويحرمون منها في الآخرة تماماً، بل يعاقبون في الآخرة على ما اكتسبوا من السيئات، وقد

قال الله تعالى في موضع آخر: قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا خَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ (الأعراف: ٣٢)، وقال: وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيداً جُرُزاً.

وأشارت الآية إلى حقيقة الدنيا، وهى أن الدنيا فانية، لا تبقى إلى الأبد، بل يأتيها يوم القيامة، فيمحو الله كل ما على الأرض، وتكون الدنيا صعيداً جرزاً، لا يبقى فيها إنس ولا جن، ولا يكون فيها شجر ولا حجر، فكل ما ترون أمامكم من رونق وبهاء وزينة وجمال يجعله الله هباءً منثوراً.

أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَباً (الكهف: ٩).

الرقيم هو الموضع الذي كان فيه غار أصحاب الكهف، وأصحاب الكهف بضعة رجال، عاشوا زمن الكفار والوثنيين، وكان ملكهم كافراً وظالماً، يجبر رعاياه على عبادة الصنم والوثن، لكن هؤلاء آمنوا بعباسي عليه السلام، وعملوا بشريعته، فهددهم الملك بالعودة إلى الكفر وعبادة الأصنام، وألا يضيق عليهم الخناق، فخرجوا من مناطقهم، وكان على بُعد منهم جبل، كان فيه غار شبه غرفة، لا يسكنه أحد، ولا يخشى هناك خطر لعدو، فاختفوا فيه، وقد رضى الله تعالى بشيائهم على الإيمان أمام الملك الظالم الكافر، فضرب على آذانهم في الكهف سنين عدداً، وناموا ثلاث مائة وتسع سنين، ولما استيقظوا ما استطاعوا أن يقدرُوا مدة نومهم، بل ظنوا أنهم ناموا مدةً من الزمن، وشعروا بالجوع، فأرسلوا واحداً منهم إلى السوق، وأوصوا بأن يخفى سرّ حاله من الناس، لكن الحكومة الكافرة كانت قد تبدلت، ومضى على أصحاب الكهف حين

من الدهر، وكان الملك الجديد نصرانياً، وحينما رأهم أهل البلد سُروا به غاية السرور، وقالوا: هؤلاء هم الذين اختفوا محتفظاً بإيمانهم وعقيدتهم، فرحبوا بأصحاب الكهف ترحيباً، وقدروا شأنه.

تخبر قصة أصحاب الكهف بأن الله تعالى قادر على تبديل النظام الظاهر، يمكن أن يحیی انسان مائة سنة على أكثر تقدير، لكن لا يمكن أن يحیی انسان أكثر من ثلاث مائة سنة، ولا يتأثر جسمه بشیء، ولم يتناول الطعام خلال هذه المدة، كأن الله تعالى أخبرنا بأنكم تنظرون إلى الظاهر، وتظنون عنكم ظنوناً، رغم أن ما تتصرفون فيه يكون بإذن الله تعالى وبقدرته، وأنا أملك الظاهر والباطن كليهما.

خلق الله تعالى الدنيا كلها لنا، وخلقنا لعبادته، وجعل الإنسان فيه خليفة، لیسیر بهذا النظام وفق ما أمره الله تعالى به، فالمالك الحقيقي هو الله، یسیر العالم بإذنه وبأمر منه، يحكم الإنسان الدنيا ظاهراً، لكن الحكومة الحقيقية لله تعالى، خیر الله تعالى الإنسان فقط، لیدبر نظام حكومته، فليس الإنسان هو الأصل في إدارة النظام وتدبير الأمور، بل هو خليفة الله تعالى، قال تعالى: وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً (البقرة: ٣٠).

موضوع سورة الكهف الأساسي أن هناك نظامين: وهما نظام باطن، يملكه الله تعالى، ونظام ظاهر، يديره الإنسان، ويظن نفسه مالكاً حقيقياً، ولا يذكر قدرة الله تعالى فوقه، وقد سيطر الآن على العالم هذا الاتجاه، فلا بد لنا من صيانة أنفسنا بهذا الاتجاه، والرجوع إلى العقيدة الإسلامية الصافية، كأن هذا الاتجاه المادي صورة مصغرة للدجال، الذي يكون شعاره وعلامته المادية، وإذا ظهر الدجال قرب القيامة أتى بعجائب وغرائب يتحير منها الناس، ويظنونه متصرفاً حقيقياً، فيضل

أهل الإيمان عن إيمانهم، ويكون أسلوبه خداعاً يتخدع منه عامة المؤمنين، إلا عدداً قليلاً يعصم من فتنة الدجال، جاء في الحديث الشريف: قال صلى الله عليه وسلم: إنه لم تكن فتنة في الأرض منذ ذرأ الله ذرية آدم أعظم من فتنة الدجال (سنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب فتنة الدجال ٤٢١٥).

تشير قصص هذه السورة إلى الصراع بين الإيمان والمادية في الحياة الإنسانية، فإن هناك فكرة إيمانية، وفكرة مادية، وقد أخبر الله تعالى أهل الإيمان بأن الدنيا خلقت للإنسان، فلا بد للإنسان أن يستفيد منها، ويستخدمها في صالح الإنسانية، لكن الإنسان خُلِقَ للآخرة، فعليه أن يبني آخرته، وينتفع بالدنيا حسب ما أمره الله به.

التعليم الديني للناشئين وملامحه الإيجابية (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا رسول الله، خاتم النبيين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فأيها السادة! إن الله تعالى خلق الإنسان أشرف المخلوقات، وجعل العلم أكبر أسباب شرفه وعظمته، فبالعلم ينال الإنسان غاياته النبيلة، ويحقق أهدافه العليا، والعلم يسدّد خطاه، ويمنحه توجيهاً رشيداً، فيختار منهجاً سديداً للتعليم المناسب وفق مقتضياته الدنيوية ومثله الدينية، قد منح الله تعالى الإنسان ديناً كاملاً شاملاً، وجعله دين الإنسانية جمعاء، قال تعالى: **إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ**، (آل عمران: ١٩) وقال: **أَلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِيناً**، (المائدة: ٣)، فكان الكمال والتمام لهذا الدين الحنيف، وجعل الله هذا الدين نعمته التي أفاءها على الإنسانية، فكان المسلمون حاملو هذا الدين،

(*) هيئة التعليم الديني لولاية أترا براديش هيئة قديمة، تم إنشاؤها في ١٩٥٩م برئاسة الإمام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن على الحسيني الندوي رحمه الله تعالى، وقد لعبت الهيئة دوراً بارزاً في صيانة عقائد الناشئين من البنين والبنات، وأثرت تأثيراً كبيراً في مجتمعات المسلمين في الهند، وهي تنشط الآن بفعاليتها ونشاطاتها في هذا المجال، واختير بعد وفاة الإمام الندوي سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي رئيس ندوة العلماء، رئيساً لها، وسعادة الشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (مدير دار العلوم لندوة العلماء) نائب رئيس لها، ويدير هذه الهيئة البروفيسور مسعود الحسن العثماني، ونقدم هنا إحدى خطبه الرئاسية مترجمة بالعربية نفعاً للقراء.

ولا تتحقق هذه النعمة على أرض الواقع إذا طبّق المسلمون في حياتهم، وأبدوا نحوها عواطفهم وقدموا لها تضحياتهم، وقد أوصى الله المسلمين بالدعاء في كل ركعة من الصلاة، قال تعالى: **أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ، صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ، غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَلَا الضَّالِّينَ.**

فهذا الدين الذي أكرمنا الله به هو نعمة كبيرة منه، وجائزة ربانية للمسلمين، فتعود المسؤولية على كل فرد من أفراد هذه الأمة أن ينهج أصولاً معلومة وطرائق مرسومة من الله تعالى، وكان فضل الله تعالى على هذه الأمة أن طائفة من عباده الغيارى لا يزالون يحملون هذه النعمة بآتم صورتها، ويشهد تاريخ الإسلام الممتد على أربعة عشر قرناً أنه كلما ضلت الأمة وانحرفت عن طريق الإسلام قام هؤلاء الرجال الغيارى، وبذلوا مجهوداتهم في توجيهها وإرشادها إلى الصراط المستقيم. هذا دليل إلى يوم القيامة على أن ننظر مسار الأمة، ولا تنحرف الأمة من جادة الحق والصواب، ولا سيما الجيل الجديد الذي يمر بمرحلة بدائية من حياته، فإنه يحل محل أمة بكاملها حينما يكون كبيراً، إن هذا الجيل الناشئ يكون فكره كلوحة صافية أو لافتة جلية، وكل ما يكتب على لوحته يكون واضحاً، ويرسخ شيئاً فشيئاً، فإنه يتعلم دروس العقائد والأخلاق من مدارسه الابتدائية، ويتكون فكره مما يُلقى إليه من الإرشادات في الصفوف الدراسية، ومعلوم أن نظام هذه المدارس لا توافق الفكر الإسلامي ومنابعه الصافية، فلا تنال العقائد الإسلامية والأخلاق العالية فيها أي قيمة، فيجب على مسئولى هذا الجيل أن يفكروا في تعليمه وتربيته على خطى سديدة.

إن الهند مهد الحضارات والثقافات، حينما كانت تحت سيطرة الإنكليز كانت مضطرةً إلى حد كبير، لكن بعد ما نالت الهند الاستقلال

عاد على سكانها أن يصوغوا نظاماً يوافق القيم الإنسانية العليا، وحوائجهم الذاتية، هذا هو معنى الاستقلال والحرية، الذي ينسجم مع طبيعة الإنسان، وينص على ذلك دستور الهند فإنه يسمح لكل مواطن بأن يكون حراً في أداء شعائره الدينية، وكل ما يمت إلى لغته وثقافته بصلة، ففي بلادنا يوجد من كل ديانة أتباع ومنتحلون، وظل دستوره علمانياً، لا ينحاز إلى فئة دون فئة، والحقيقة المعلومة أن المظاهر الدينية للأغلبية غير المسلمة تختلف تماماً عن الحقائق الدينية للمسلمين، فتعود المسؤولية على المسلمين أن لا تنصهر حضارتهم في حضارة غير المسلمين، وتذوب فيهم ذوبان الأشياء المادية، وخاصة عقيدة التوحيد التي يتميز بها المسلمون، ولا يبقون مسلمين بغيرها، وتوجد في هذه البلاد نظرات ممزوجة بالشرك والكفر، فأول عمل في هذا الشأن هو إنقاذ الناشئة الجديدة والأطفال الصغار في مراحل الثانوية من مظاهر الوثنية، وإذا لم نقم بهذا الواجب فيخشى أن يكون إيمان الجيل الجديد معروضاً للخطر، ويتخلى عن شعائر الدين، ثم تُمحى آثار إسلامه من سائر جسده، ويعيش بين المشركين الكافرين كأراذل الناس وسفهاءهم، كما شاهدنا في تاريخ الأقليات المسلمة في البلدان الأخرى.

مما يبعثنا على الحيرة والاستغراب أن العلمانية بدأت تنفذ خطتها في بلادنا باسم الهندوسية، وقد جرى تعديل كبير في المقررات الابتدائية والثانوية للمدارس الحكومية، وتم صبغها بالصبغة الزعفرانية، وبدأ هذا العمل منذ تحرير البلاد من الاستعمار الإنجليزي، فوجه العلماء والمتقفون المسلمون كلمات نصيح وتذكير إلى الجهات المعنية بالتعليم، لكنها اكتفت بالتسلية والتكلم بالكلام الفارغ حيناً لآخر، رغم أن هذه السلسلة الإلحادية لم تنته لتغيير أذهان الأطفال من الإسلام إلى الكفر.

فهناك قضيتان للفكر والتأمل لدى مسلمي الهند: أولاً: إن نظام التعليم كان علمانياً، فلا يستوفي حاجيات المسلمين المالية والدينية، فظلت الحاجة إلى صياغة نظام تعليم جديد بالنسبة إليهم، ثانياً: كان نظام التعليم ممزوجاً بالوثنية والعقائد الشركية، فلا بد من معالجتها على أسس سليمة من الإيمان والتقوى، والمسلمون في هذه البلاد في أقلية، والأقلية وإن كانت في عدد هائل، وإن كان لها دستور يعينه على إنجاز متطلباته، لكنها تُعتبر أقلية بالنسبة إلى الأغلبية، فهي مسئولة عن التفكير في قضاياها، وإذا لم يكن كذلك فحُرمت الأقلية من مزاياها الخاصة، وظلت خاضعة لأفكار الأغلبية وعقائدها الباطلة، يشهد التاريخ الإسلامي أن علماء المسلمين لم يتغافلوا أبداً عن صيانة عقائدهم وقيمهم العليا في مختلف أواره، فلم ينضم ديننا في ديانات أخرى، بل بقي بخصائصه ومزاياه، لكن الذي يقض مضجعنا أن الشعور بالمسؤولية في الطبقة المثقفة للمسلمين قد وصل إلى درجة من الانحطاط، وهذا هو نذير خطر لنا.

إن هيئة التعليم الديني في الهند قد أولت بهذا الموضوع عناية بالغة، وعقدت لها عشرات من الاجتماعات الدينية، ونشرت شبكات الكتاتيب البدائية في شتى القرى والأرياف والمدن، وقد قال إمامنا العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي في إحدى خطبه الرئاسية لهيئة التعليم الديني لولاية أترا براديش:

"المسلمون مسئولون عن الاهتمام بنظام التعليم الديني في أحيائهم وقراهم، كما يحتاجون إلى المساجد لأداء الصلوات الخمس، وكما يحتاجون إلى الطعام والشراب لبقاء الروح في الجسد، فلا حاجة إلى ترقب معونة من الحكومة لإنشاء هذا النظام، ويتم صياغة هذا النظام بإلقاء الخطب والمواعظ في المساجد، وإقامة الكتاتيب وحلقات الدروس

الدينية على أوسع نطاق، فلا تخلو بلدة أو قرية إلا ويكون فيها نظام التعليم الديني البدائي.

ولا بد في هذا الشأن من الاعتناء بثلاثة أمور: أولاً: ترتيب المقررات الدراسية الجامعة للمواد الدينية والمعلومات العصرية اللازمة، وفقاً لمستويات الناشئين، ثانياً: توفير المدرسين والأساتذة الذين يقومون بتدريس هذه المواد، وتربيتهم تربيةً صالحةً، حتى يستعدوا لتدريسها بكل شوق ونشاط، وثالثاً: تعلم اللغة المحلية، ولا سيما الأردنية بالنسبة إلى الهند، وهي أسهل طريقة لتعلم المواد الدينية للناطقين بها.

إن القضاء الاجتماعي للشعوب والملل قد غير مجرى التاريخ، فالأمر الذي نحتاج إليه، والذي يتغلب على جميع الموانع والحواجز، ويكسر طلاسـم الظروف والأوضاع هو قوة إدارتنا وقضائنا الجماعي على أننا نؤثر التعليم الديني للناشئين على التعليم العصري، بحيث يطلع الجيل الناشئ في مستقبل عمره على العقائد الدينية والفرائض الإسلامية والثقافة الإيمانية، ويكون لديه معرفة تامة بالأنبياء والرسل والجنة والنار، والحلال والحرام، ونعتبر حصول مجرد التعليم العصري ذنباً كبيراً، وثورة على الدين، فإذا عزمنا وكنا مخلصين في نياتنا فلا يمكن أن تعوق طريقنا إلى الصراط المستقيم قوة ولا ترغيب أو مصلحة أو تغير نظام أو تبديل حكومة، ولا يحرم الجيل الناشئ من نعمة الإسلام والإيمان أبد الآباد". (خطبة رئاسية للإمام الندوي بمؤتمر مراد آباد، ١٢/يناير ١٩٩٢م، ص: ١٣ - ١٤).

ذكر القرآن الكريم قصة سيدنا يعقوب عليه السلام في سورة البقرة، وكان يعقوب عليه السلام نبياً، وابن نبي، وكان جده نبياً ورسولاً، وكانت هذه الأسرة أسرة الأنبياء، وكان سيدنا يعقوب عليه

السلام مطمئناً من أبنائه بعد وفاته أنهم يتبعون طريق آبائهم، ولا ينحرفون عن الصراط المستقيم، لكنه لم يطمئن قلبياً، بل قبل وفاته بأيام جمع أولاده، وسألهم: ما تعبدون من بعدي؟ وقد اختار في السؤال: أداة: ما، ويأتي في شرحه: الإنسان والحيوان، والبلد، وكل ما في السماوات والأرض، لأن الإنسان إذا ترك عقيدة التوحيد جعل كل شيء من الشجر والحجر والإنسان والحيوان إلهاً، وينذر له النذور ويقرب إليه القرابين، ونجد أمثاله في مجتمعاتنا، فهذه القصة ليست مجرد قصة، بل هي درس ذو بصيرة وعبرة لنا، وهو أن نفكر قبل وفاتنا في دين أولادنا وأبنائنا، والواقع أننا أصبحنا متساهلين في هذا الأمر، فانقلب الأمر ظهراً لبطن.

هذا الأمر ليس شيئاً عادياً، بل يحتاج إلى غاية من التفكير والتأمل، فكل إنسان مسئول عن رعيته، وهو يسأل يوم القيامة عن رعاياه، وقد قال الله تعالى في القرآن الكريم: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَاراً وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ (التحريم: ٦).
وصلّى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

التعليم والدعوة وتأثيرهما على المجتمع (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

حضرات أعضاء المجلس التنفيذي لندوة العلماء:

فاولاً نشكركم على حضوركم في هذا المجلس، فقد تحملتم لذلك مشاق السفر، وجعلتم نصب أعينكم مهمة الدعوة والتعليم، فهذا دليل على روحكم الإيمانية وذوقكم العلمي، وهو ما يشجع العاملين في مجال الدين والعلم، ولا شك أن مدارسنا الإسلامية التي هي كالعمود الفقري لبقاء الأمة الإسلامية تتعرض الآن لمشكلات وأمور غير مرضية، وهي تعوق سيرها الطبيعي نحو التقدم والازدهار، ونشر التعليم الديني على أوسع نطاق.

إن ندوة العلماء التي تأسست في أواخر القرن التاسع عشر الميلادي قد دخلت بمحمد الله تعالى وفضله في العقد الثالث من القرن الحادي

(*) عقدت ندوة العلماء دورتها السنوية، بعد سنتين نظراً إلى جائحة كورونا في ٢٢/ شعبان ١٤٤٣هـ، المصادف ٢٦/ مارس ٢٠٢٢م يوم السبت في قاعة العلامة المحدث حيدر حسن التونكي في رحاب ندوة العلماء، حضرها أعضاء المجلس التنفيذي لها من الهند وخارجها، وقدم بهذه المناسبة رئيس ندوة العلماء سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسيني الندوي (أطال الله بقاءه) تقريراً جامعاً، وهو يشتمل على ما تقوم به ندوة العلماء من أعمال وجهود في سبيل التعليم والدعوة، ننشر جزءاً من هذا التقرير معرباً تعميماً للفائدة.

والعشرين الميلادي ، ويعمل الجيل الرابع لها الآن في مجال الفكر والدعوة ، وقد قيض الله لها في كل عهد من العهود رجال أكفاء للعمل الإسلامي ، ونبغاء الأمة الإسلامية ، فكثرت إنجازاتها وخدماتها بإذن الله تعالى ، فعلى سبيل المثال :

كان في الجيل الأول العلامة السيد سليمان الندوي وزملاؤه الشيخ عبد الباري الندوي ، والشيخ عبد السلام الندوي والشيخ مسعود علي الندوي والشيخ الطيب السيد عبد العلي الحسني ، وكان في الجيل الثاني الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي ، والشيخ المؤرخ معين الدين أحمد الندوي والكاتب القدير مسعود الندوي ، والشيخ الداعية أبو الليث الإصلاحي الندوي ، والشيخ محمد ناظم الندوي والشيخ عبد السلام القدوائي الندوي ، والشيخ محمد عمران خان الندوي ، والشيخ محمد أويس الندوي النجرامي وغيرهم من خريجي ندوة العلماء ، وكان في الجيل الثالث القاضي معين الله الندوي ، والشيخ مجيب الله الندوي ، والدكتور عبد الله عباس الندوي ، والدكتور عبد الحليم الندوي ، والبرفيسور حبيب الحق الندوي ، والبروفيسور السيد سلمان الندوي نجل العلامة السيد سليمان الندوي ومعاصروه ، ثم كان الجيل الرابع ، وفيه الكاتب الإسلامي السيد محمد الحسني ، والأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي ، والأستاذ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي ، والدكتور تقي الدين الندوي ، والبروفيسور محمد اجتباء الندوي ، والأستاذ حبيب ربحان خان الندوي ، والبروفيسور احتشام أحمد الندوي والبروفيسور محمد راشد الندوي ، والأستاذ محمد إسحاق جليس الندوي ، والدكتور محمد لقمان الندوي ، والأستاذ المحدث ناصر على الندوي وتلامذته النجباء .

هذه الأسماء المذكورة أعلاه على سبيل المثال ، وهي نالت شهرة

وعظمة في العلم والدعوة والثقافة والتنظيم والإدارة، ولها أعمال وجهود ملموسة في مختلف العلوم والفنون والمجالات المتنوعة.

أيها الحفل الحضور! فكرة ندوة العلماء تتلخص في الجمع المتزن بين القديم الصالح والجديد النافع، وخاصة في مجال التعليم القديم والتعليم الجديد، وصياغة نظام يمكن به إيلاغ صوت الإسلام إلى كل طبقة من الطبقات، والتعليم موضوع ذو أهمية بالغة، يؤثر فيه ثلاثة عناصر ودواع أساسية من جهات شتى، وهي تقوم بتكوين أذهان الناشئين والدارسين. أولاً: الأساتذة، وثانياً: المقررات التعليمية، وثالثاً: البيئة التعليمية.

هذه العوامل الثلاثة قد أثرت أيما تأثير في صياغة أذهان المواطنين الهنود في القرن التاسع عشر الميلادي، وكانت البيئة بيئة إنجليزية، وانصهر نظام التعليم في هذه البيئة أيضاً، وفي جانب آخر كان العلماء المسلمون الذين يحتفظون بترائهم القديم، ويكتفون به، ثم قامت طبقة منهم نظراً إلى خطورة الأوضاع وشعوراً بمسئولياتهم بإنشاء ندوة العلماء، لكن هذه العوامل الثلاثة لم تكن متوافرة آنذاك، فاستغرق ذلك سنوات، لكن تيسرت الأسباب والوسائل رويداً رويداً، وتخرج الجيل الأول حسب خطة معلومة، فهو وإن كان قليلاً في العدد، لكن بدأ عمل التعليم والدعوة على النظام الجديد، فظهرت آثار عمله في صورة إنجازات وأعمال إيجابية.

استمر هذا النشاط التعليمي والدعوي بتعاون من الجيل الأول، لكن خلال هذه المدة انقسم شبه القارة الهندية إلى دولتين، فتغيرت الأوضاع، وتبدلت الأحوال، لكن ندوة العلماء تعمل عملها وتنتشر فكرتها ومنهجها إلى حد ممكن، لكن حينما نشأ الجيل الثاني والثالث

انتشرت فكرة ندوة العلماء على أوسع نطاق، وظل يُعترف بها عالمياً، وتوافر رجال في كل عنصر من العناصر الثلاثة، فرتبت المقررات الدراسية، ونشأت بيئة تعليمية جديدة، وكل ذلك من خريجي ندوة العلماء وأبنائها النابغين.

هناك نقطة مهمة في التعليم أنه ليس مجرد تدريس كتاب وترديده على السنة الطلاب والناشئين، بل هو يشتمل على أنواع وأشكال مختلفة، يتدئ عمل التعليم من المرحلة الابتدائية إلى مرحلة الأصدقاء والزملاء، وإلى مرحلة الأساتذة، لأن الإنسان يتعلم من إنسان آخر، والنطق وطريقة أداء الكلمات يتعلمه الإنسان أولاً من الأبوين، ثم يتعلم من بيئته التي يعيش فيها، ويكون الأساتذة والكتب في هذه المرحلة عاملين كبيرين له، كما يستفيد من الحوار والصحافة، ثم يتوسع هذا النطاق فيتعلم الطالب من وسائل التربية الفنية إلى وسائل الإعلام، ولا تزال تستعمل هذه الوسائل لتكوين الأذهان وصياغة الأفكار والنشاطات التعليمية.

ففي العالم المعاصر الذي أصبح فيه نظام التعليم حديثاً، قد نالت وسائل الإعلام والمعنيون بها درجة كبرى، وصارت في المرتبة الثانية، فجميع أنواع الإعلام تشكل أذهان الطلاب ذهنياً وفكرياً، وتكون مساعدة في التعليم والتربية، أما المقررات الدراسية فإنها تتبع مكانة الأساتذة والبيئة التعليمية لمراكز التعليم، فالوسائل الجديدة بديل عن الأساتذة والكتب، وهي حرة تماماً، لا تتقيد بقيم خلقية، ولا أعراف أسرية، ولا أصول بناءة ونظرات صالحة، فالمجتمع الإسلامي كما في حاجة إلى منهج تعليمي إسلامي يشتمل على مقررات دراسية، وأساتذة ماهرين وبيئة تعليمية، كذلك في حاجة إلى أجهزة إعلام لا تضاد فكرة

الحياة الإسلامية، وقد سبقت ندوة العلماء في اختيار هذه الوسائل واستخدامها في صالح التعليم والتربية.

أيها السادة! قد مرت دار العلوم لندوة العلماء والمدارس الأخرى بأشد ساعات في زمن كورونا، بحيث أقفلت الأروقة، وانقطعت سلسلة التعليم بطريق مباشر، فجاء نظام بديل عبر الإنترنت، اختارته مراكز التعليم العصرية والجامعات الرسمية، واختارته كذلك بعض المدارس الإسلامية، فلم تكن ندوة العلماء بمعزل عنها، وقد مر على هذا النظام عامان، وتستمر الآن الامتحانات السنوية، فلم يخسر الطلاب سنواتهم التعليمية، وإن كانت فيه نسبة التعليم والدراسة ضئيلة.

إن أوضاع العالم الإسلامي الآن مبعث قلق شديد، وتفكير دقيق، ومن أهم أسبابه هو تفرق كلمة المسلمين، وعدم وحدتهم، والسبب الثاني أن بلدان العالم الإسلامي بصغر مساحاتها ترتبط ارتباطاً سياسياً وثقافياً بالبلدان الكبرى، فلا تكون حرة في تنفيذ برامجها ومخططاتها، فلا تظهر نتائج العمل المرجو من خلال الإسلام، والسبب الثالث أن الإعلام هو الذي يصوغ اتجاه العالم، وهو مكب على تشويه صورة الإسلام والمسلمين، ويستخدم اسم الإسلام والمسلمين حسب مصالحه، ولا نستطيع أن ندافع عنه كما ينبغي لنا، وإن تفرق المسلمين يحدث في هذا الأمر شدة وخطورة، فإنهم لا ينظرون إلى مثالبهم، بل ينظرون إلى مثالب الآخرين ومواضع ضعفهم، وقد أصبح هذا العمل موضحة لنا، فتنشأ منها الاختلافات الداخلية والانحرافات الفكرية.

هذا الوضع السائد لا يمكن معالجته إلا بصيانة ديننا الإسلامي، كلما كنا محتفظين بالدين وتعاليمه كنا آمنين ومطمئنين، وحصلت لنا العزة والقوة التي نتوخاها من الدين، هذا ليس تذكيراً عادياً، بل هو

استعراض كامل لتاريخ المسلمين ولتاريخ بني إسرائيل، ونجد أمثله في القرآن الكريم، فلا بد لنا أن نستفيد منها، ينبغي لنا أن نصلح مجتمعنا، ونسدد أخلاقنا، وننهج المنهج الذي يذهب بنا إلى الغلبة والعزة، ويكون للمسلمين فيها كرامة وشرف، ولا يمكن ذلك إلا إذا عشنا حياة مرضية عند الله تعالى، وإلا كان مصيرنا ومآلنا كما كان للأمم الماضية.

أيها الحفل الحضور! إن المرحلة الجديدة لسياسة الهند تختلف تماماً عن المراحل الماضية، وسيبقى قادة الأمة وزعمائها رقيقاً وانحطاطاً، وشدة وضعف في الظروف والأوضاع، فيمكن حلها ومعالجتها بالنظر إليها، ويمكن أن تحدث هناك صعوبات ومشاكل خاصة، ففي هذه الأحوال الطارئة لا بد من اتخاذ تدابير سديدة لصيانة المدارس الدينية وتوسعة نطاقها، وأنتم أيها السادة المطلعون على الوضع الصحيح، فإن ندوة العلماء ستواصل مسيرتها في نشر التعليم والدعوة بإذن الله تعالى، وبتعاون من حضراتكم، وإن تفاقمت الأوضاع وتأزمت، والله ينصرنا ويوفقنا لما يحبه ويرضاه، وتستمر نشاطات ندوة العلماء على نهج أسلافها، ويكثر نفعها وتتسع دائرة رقيها وازدهارها بإذن الله تعالى.

هذا ما تهدف إليه ندوة العلماء بإيجاز، أدعوا الله أن يكلل جهودنا بالنجاح، وقد ساعدنا في إنجاز أعمال ندوة العلماء زملاؤنا في العمل فإنهم يستحقون منا الشكر الجزيل، أدعوا الله أن يتقبل منهم، ويجزيهم جزاءً حسناً، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الأوضاع المعاصرة، وطرق معالجتها (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين خاتم النبيين محمد بن عبد الله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان ودعا بدعوتهم إلى يوم الدين، وبعد:

خطة جامعة للتعليم والتربية:

حضرأت أعضاء المجلس التنفيذي لندوة العلماء:

فقد تأسست ندوة العلماء منذ أكثر من قرن وربع قرن، وكان المسلمون يواجهون في تلك الفترة بتأثير غلبة الإنجليز خسارة كبيرة في الشئون الإسلامية والشعائر الدينية، ففكر كبار رجال العلم والدعوة، وأصحاب العواطف الدينية والفكر الإسلامي في الوضع الراهن، وكان في مقدمتهم العالم الرباني الكبير الشيخ محمد علي المونكيري، وأحد الرموز الإسلامية في العلم والأدب العلامة شبلي النعماني، قرر هؤلاء العلماء إنشاء مؤسسة تعليمية جامعة باسم "ندوة

(*) عقدت ندوة العلماء دورتها السنوية حسب العادة المتبعة في ٦ / رجب ١٤٣٩ هـ،

المصادف ٢٥ / مارس ٢٠١٨ م، ألقى بهذه المناسبة العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس ندوة العلماء العام) خطبة قيمة، تناول فيها ذكر الأوضاع التي سببت إلى تأسيس ندوة العلماء، وما قامت به هذه المؤسسة العلمية الإصلاحية من خدمات عظيمة خلال قرن وربع قرن، وكيف يمكن معالجة الأوضاع القاسية التي تمر بها الأمة الإسلامية في كل مكان - وكل ذلك في أسلوب علمي رصين - كانت الخطبة باللغة الأردنية، نشر ترجمتها تعميماً للفائدة.

العلماء"، فبدلوا لها مجهودات بالغة وأشرفوا عليها، تلمس آثارها في فعاليات ندوة العلماء السنوية، وكان الشيخ محمد علي المونكيري رئيساً لندوة العلماء، والشيخ شبلي النعماني رئيس الشؤون التعليمية فيها.

قضت ندوة العلماء نصف عمرها منذ تأسيسها زمن حكومة الإنجليز على الهند، وأما النصف الآخر فكان بعد تحرير الهند، ففي هاتين الفترتين كثف مسئولو ندوة العلماء مساعيهم لإنجاز أهداف ندوة العلماء وفقاً لمتطلبات العصر، كان المسلمون يعانون زمن الإنجليز على المستوى السياسي والاقتصادي مشكلات كثيرة، كذلك يواجهون أوضاعاً سيئة في تكوين الأذهان السليمة، وكل ذلك بتأثير الاستعمار ومصالح الحكومة الخارجية، وكانت الأوضاع تنشئ في نفوس الناس الشعور بتقديس الأمم الغربية، وتنحية الدين عن المجتمع، فإن نظام التعليم والتربية الذي شاع في البلاد كان منقطعاً كلياً عن العلاقة الدينية والعواطف الإسلامية، فإذا ورد فيه حديث عن الدين كان ضمن الاستهزاء والسخرية، فأثر هذا النظام أيما تأثير في الجاليات الجديدة التي تسلمت مقاليد الحكم من بعد، فخلت أذهانهم من الفكر الإسلامي السليم، وتركزت عنايتهم على زخارف الدنيا ومنافعها الاقتصادية، فإن هؤلاء الناس يعتبرون الاشتغال بالأمور الدينية مضيعة للوقت، ووفقاً لهذه الخطة المرسومة عمل المستشرقون للطعن في الموضوعات الإسلامية وقلب الحقائق، فقدمت آراؤهم في المجمع العلمية والمؤسسات التعليمية.

كان من وراء الاستعمار إضعاف روح القيم الإسلامية بنظام التعليم والتربية، وحصر الفكرة في الفوائد الدنيوية، لكن شعر أصحاب الدين بهذا الخلل، فأسسوا مؤسسات دينية خاصة تفادياً من أخطار

الاستعمار، ورتبوا لها مناهج تعليمية، فشاع في المسلمين منهجان للتعليم، كان الواحد يختلف عن الآخر، فكان أحدهما يتصل بالدنيا، وثانيهما يتصل بالدين، وكان نظام التعليم الديني مبعث رونق وبهرجة، وذا منافع مادية، فنال رواجاً كبيراً، لكن نطاق التعليم ظل محدوداً، فضغفت إلى حد كبير علاقة الدين بالدنيا التي منح فكرتها الإسلام المسلمين، وقل اعتناء الناس بالتوجيهات الإسلامية، فتغافل رجال الفكر والدعوة عن الشؤون الدينية والمتطلبات العصرية، وانحصر علمهم في الأمور الدينية، فتكونت طبقتان مختلفتان ذهنياً ونفسياً.

كان نظام التعليم والتربية جامعاً ومكملاً للحاجيات العصر قبل سيطرة الفكر الغربي، فكان مشايخ البيوت يقومون بتعريف أطفالهم بالمعلومات الدينية والشخصيات البارزة، فيتدنى التعليم الديني في البيوت، فإذا لم يتيسر للأطفال فرصة للتعليم الديني من بعد، كانت هذه المعلومات الابتدائية الدينية موجهة لهم، فإن التعليم الاستعماري قد أبعد أذهانهم عن الدين، وقصرهم منذ نعومة أظفارهم على المعلومات الدينية، وفي جانب آخر لم يتمكن العلماء وأهل العلم من توجيه الأمة في الشؤون الدينية نظراً إلى ضالة علمهم وقلة دراستهم لها، فالأمور التي تكون ضرورية ونافعة للجميع، ويقع أثرها على المتطلبات الدينية، مثل أوقات العبادات التي تعرف من الآليات الحديثة، فحدثت لهم صعوبات ومشكلات عن أوقات الصلاة والاكتشافات الحديثة، والأمور الجديدة التي نشأت في العهد الجديد للحاجة الاقتصادية، صار حلها أيضاً صعباً، وإن كان قد تعلم بعض العلماء التعليم الحديث، وساعدوا في حل القضايا، لكن كان عددهم قليلاً، فكانوا في أمس حاجة إلى أن يعرفوا متطلبات الفرد والاجتماع في الحياة

الإنسانية، مع اطلاعهم الواسع على العلوم الدينية، ويقدموا حلاً جامعاً للقضايا المعاصرة.

فكانت هذه الظروف التي اضطرت المسؤولين إلى اتخاذ خطة جامعة للتعليم، واختيرت هذه الخطة وفق مبدء "الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع"، بحيث يؤخذ من القديم علوم القرآن والسنة، ومن الجديد ما يجعل الحياة العملية نافعة.

ثلاثة جوانب للتعليم وإنجازات ندوة العلماء فيها:

أيها السادة! حازت ندوة العلماء في هذا المجال تقدماً، وحدثت لها مشكلات عملية عامة، وإن ثلاثة جوانب في نظام التعليم والتربية تحمل أهمية أساسية: المناهج التعليمية، والنزعات النفسية للطلاب الدارسين (الأساتذة)، فهذان الجانبان لهما أهمية خاصة وميزة مستقلة، لا يكون نظام التعليم أكثر تأثيراً بدون رعايتهما، فتمس الحاجة إلى اختيار ذلك بأقصى ما يمكن، حدثت لندوة العلماء مشكلة أنه لم يتيسر لها للعلوم العصرية عدد من الأساتذة الذين يحملون أفكاراً دينية، حتى ينصبغوا بالصبغة الإسلامية، فإن أذهان الأساتذة تؤثر كثيراً بطريق خفي في مجال التعليم، فكيفما تكون نفسيتهم كذلك يكون لها الأثر، فإذا درّس جاحد للقرآن القرآن الكريم أمكنه بتعليم القرآن صوغ أذهان تجحد القرآن الكريم، وقد عمل بذلك المستشرقون في أوروبا.

والجانب الثاني للتعليم هو المناهج الدراسية، وهي تُعدّ وفق أذهان واضعيها، وكل ما يوجد من مؤلفات عن المتطلبات الدنيوية أعدته الأذهان الغربية، مثلاً إن مؤلفات اللغة العربية قام بإعدادها المؤلفون الجدد في مصر والشام، فهناك درس في إحدى المؤلفات العربية: أن بنية كانت مولعة جداً بالكبريت، وهي تلعب بها، قيل لها: إنه يسبب

الحريق، فلا تلعبى به، فما أطاعت أفراد أسرتها، فاحترقت، علق مؤلف الكتاب على هذه القصة: انظروا: كيف تكون نتيجة الخطأ؟ أخطأت البنية، فماتت، وفي جانب آخر كان رجال أسرتها مطمئنين، وكان كلب البيت مطمئناً، وقدم في الصورة الموجودة في الكتاب أن الكلب يأكل مع أفراد الأسرة مستريحاً ومطمئن البال، فقدم هذا الجانب السيئ للحضارة الغربية في صورة مزرکشة جميلة.

هكذا تُعد مناهج الحياة العامة، بحيث تعرض أقوال مضادة للقيم الدينية في أسلوب جميل، شعر بهذه النقائص في المناهج الدراسية العلامة الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، ألف مؤلفات للأطفال الصغار والناشئين في اللغة العربية والأدب العربي أمثال: القراءة الرشيدة وقصص النبيين، وقامت ندوة العلماء بإعداد مقررات دراسية أخرى حسب الحاجة أمثال: معلم الإنشاء في ثلاثة أجزاء، ومؤلفات في النحو والصرف، ومؤلفات ابتدائية في الحديث والفقه أمثال "الفقه الميسر" و"تهذيب الأخلاق"، إن هذا العمل وإن استغرق وقتاً وظهرت نتائجه في مدة، لكن بدأ يتكون به منهج تعليمي ديني لندوة العلماء شيئاً فشيئاً، ويعجب به الناس عامة، فيدرجونها في مقررات المدارس الأخرى.

وكانت الحاجة أيضاً إلى أساتذة حسب المقررات الدينية الصحيحة، وكان هذا صعباً إلى أن تخرجت الدفعة الأولى من دارالعلوم لندوة العلماء، فلما تخرج الجيل الجديد حسب المقرر الجديد سهل بذلك الأمر، ولم تبق مشكلة في تدريس المواد الدينية.

والجانب الثالث لنظام التعليم الطلاب، فإنهم يأتون من أوطانهم، ويحملون تربية والديهم أو أقاربهم، فيحتاج المعنيون بالتعليم إلى مراعاة نفسياتهم وبيئاتهم في منهج دراستهم، هذه هي الأمور التي

مرت بها ندوة العلماء، وبذلت في هذا المجال جهوداً، فظهرت لها نتائج حسنة، ولا تزال تظهر، ودائماً يتفكر فيه مسئولو ندوة العلماء ويعقدون لها مجالس وندوات حيناً لآخر، وينظرون في جوانب الضعف والقوة، كما يستفيدون من آراء المحنكين في هذا المجال، وبما أن المنهج التعليمي العام يحمل فكرة غريبة، وتعم سائر العالم الإسلامي، فالحاجة إلى إزالة آثارها بالنظر إلى التعديلات اللازمة في المناهج الدراسية، وإن هذه الفكرة تؤثر في نظام حياتنا، وهو موضوع تفكيرنا، وبفضل الله وتوفيقه تتناول ندوة العلماء هذه الموضوعات، وينال موضوع جمع التبرعات فيه أهمية، لتحقيق أهداف ندوة العلماء وغاياتها، فينشط فيه المخلصون والمحبون لندوة العلماء، ومع ذلك حاجيات ومشاريع تحتاج إلى إنجازها، ورواتب للموظفين، ليؤدوا وظائفهم وخدماتهم بنشاط ورغبة.

وبتأثير شعار ندوة العلماء: الجمع بين القديم الصالح والجديد النافع تخرج منها عدد ملحوظ من خريجي ندوة العلماء، وهم يديرون مؤسسات علمية، وقد أعدوا منهجاً جامعاً للتعليم، ولا يزالون يعدون مناهج تعليمية وفقاً لمتطلبات العصر. وقد بدأ هذا العمل من الدفعة الأولى لخريجي ندوة العلماء، كان من أبرزهم العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ عبد الباري الندوي، وفي الدفعات الأخرى الشيخ معين الدين الندوي والعلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني الندوي، وغيرهما، فإنهم قاموا بإعداد مقررات جامعة مطابقة لمتطلبات العصر، فمثلاً الأكاديمية الفرقانية في بنجلور، ومجمع الشيخ أبو الحسن علي الندوي في بهتكل، ومركز الإمام أبي الحسن الندوي في رائي بريلي، ومجمع الملة في بنجور، ومدارس دار أرقم في تمكور (D.P.S.) جديرة بالذكر. فقد أعد مسئولو هذه المؤسسات مقررات جيدة ومرتزة في نطاقهم الخاص للطلاب المسلمين، فيوفر من

خلال ذلك مواد حسنة تجمع بين الدين والعلم الحديث، وينشط في هذا المجال المجمع الإسلامي العلمي، في ندوة العلماء، ويقدم فكراً إسلامياً في أسلوب عصري، وينشر رسائل وكتباً قيمة في اللغات الأردية والهندية والإنجليزية والعربية، وتقوم بعض المؤسسات بإعداد رسائل مفيدة في اللغة الهندية، هكذا تظهر نتائج حسنة لرسالة ندوة العلماء في مجال التعليم الإسلامي، وتستمر هذه السلسلة بمشيئة الله تعالى.

ثلاثة محاور لندوة العلماء:

أيها السادة! ركزت ندوة العلماء عنايتها على ثلاثة محاور: أولها النظام التعليمي، وإخضاعه للدين وأحكام الشريعة الإسلامية، وثانيها: إقامة وحدة جامعة في حياة المسلمين الاجتماعية باستبدال الحزبية والتعصب المذهبي، وثالثها: توجيه الأمة الإسلامية إلى تحديات العصر الزاهن. كان أساس الوحدة والأخوة الإسلامية لدى ندوة العلماء قول الله تعالى: **إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخَوِيكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ** (الحجرات: ١٠)، وقوله: **وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ** (الشورى: ٣٨)، وكان أساس الاهتمام بقضايا الأمة قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم (رواه البيهقي في شعب الإيمان: ١٠٥٨٦) وقوله: مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو، تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر. (متفق عليه). وقد تساهل المسلمون في العمل بهذه التوجيهات الإسلامية، فظهرت من النتائج ما ظهرت.

سياسة ندوة العلماء العامة:

حاولت ندوة العلماء إبعادها عن الاختلافات المذهبية والعصبيات المنطقية في دوائر أعمالها ونشاطاتها، فيدرس في دارالعلوم لندوة العلماء كل

من أتباع المذاهب الدينية: الحنفية والشافعية والحنبلية والمالكية والسلفية متحدين متحابين، وإذا حدث شقاق في أي ناحية من نواحي البلاد وخارجها حاولت ندوة العلماء إزالتها ومحو آثارها. إلا أن ندوة العلماء عزلت نفسها من المساهمة في سياسة البلاد عملياً، لأنها تقوم على الاختلاف الداخلي وطبيعة الحزبية. لكنها أيدت مؤسسات المسلمين المالية والدينية، وقدمت لها مساعدتها أمثال مجلس مشاورة المسلمين لعموم الهند، وهيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند، وهيئة التعليم الديني.

موقف الشيخ الندوي نحو حل القضايا المعاصرة:

على كل، فإن ندوة العلماء ما زالت مكبةً على أعمالها، وظل هذا منهجاً عاماً لمسؤوليها، وكان هذا موقف الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، الذي يتجلى من كتاباته ورسائله، فإنه كان يساهم مساهمةً بازرةً بكل نشاط ورغبة في قضايا الأمة التي تتعلق بصيانة الأمة وحماية الدين، ويبعد نفسه عن السياسة المعاصرة والاختلافات الحزبية، ويسعى في حل القضايا بمنهج التفاهم والجهود الفكرية والأدبية، وكان عمله هذا مبنياً على الإخلاص والنصيحة، فلا ينبعث في نفس المخاطب رد فعل، والميزة الثانية للشيخ الندوي أنه كان يخاطب الأمة الإسلامية كلها، فلا ينظر إلى القضايا بنظرة ضيقة، ولم يكن منهجه هذا موافقاً لأهداف ندوة العلماء فحسب، بل كان مقتبساً من السيرة النبوية، ذلك المنهج الذي اختاره طبعاً من طول اشتغاله بالدعوة والإصلاح والتعليم والتربية.

الحاجة إلى الحلم والحكمة:

صدر زمن حياة النبي صلى الله عليه وسلم عمل من بعض أصحابه كان يوجب قتله، لكن صلى الله عليه وسلم ترك عمل القتل

قائلاً: إن الذين يجهلون روح الإسلام يقولون: هذا انتقام بروح شخصية أو حزبية، وهو يعتبر مضاداً لروح الإسلام الدعوية والإصلاحية، فعفا عنه وصفح، وكان صلى الله عليه وسلم يؤثر رأي أصحابه على رأيه، رغم أنه نبي، كما وقع في غزوة أحد، وفي مناسبات أخرى، فكانت تظهر فيه صفتا الحلم والحكمة في أتم صورة، وإن هاتين الصفتين تمس إليهما حاجة الأمة الإسلامية في القضايا التي تمر بها، والأعمال كثيرة، وهي تحتاج إلى من ينجزها.

وصلى الله تعالى على خير خلقه محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

مركز الوسطية ورسالته للمجتمع (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء وإمام المرسلين والمتقين محمد وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

خطوات إيجابية حول التعليم:

حضرات أعضاء المجلس التنفيذي الكرام لندوة العلماء! فقد مر على تأسيس ندوة العلماء أكثر من قرن وربع قرن، حينما نادت ندوة العلماء باتخاذ خطوات إيجابية حول التعليم بالنسبة إلى الأوضاع المعاصرة، ليستعيد المسلمون مكانتهم السالفة، كان التعليم يومذاك منقسماً بين نوعين: دنيوي وديني، وكلا النوعين كانا حاجة الساعة، لكن الأمة كانت منقسمة في معسكرين، فكان الواحد يعتبر عمل الآخر خطأً، والآخر يعتبر الأول على خطأ، رغم أن المسلمين في القرون الأولى الأربعة جمعوا بين هاتين الناحيتين،

(*) عقدت ندوة العلماء دورتها السنوية حسب العادة المتبعة في ٢٣ / رجب سنة ١٤٤٠ هـ، ١٤٤٠ هـ، المصادف ٣١ مارس عام ٢٠١٩ م، قدم فيه رئيس ندوة العلماء العلامة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (أطال الله بقاءه) تقريراً سنوياً، ذكر فيه تاريخ إنشاء ندوة العلماء مع بيان أهدافها وغاياتها، كما تناول جهود ومساعي أبناء ندوة العلماء في أنحاء العالم، وأخيراً سلط الضوء على منهج ندوة العلماء ومذهبها العام، كان التقرير باللغة الأردية، نشر ترجمته تعميماً للفائدة.

فأحرزوا نجاحاً باهراً في العالم، ولا شك أن هذين الجانبين لهما تاريخ واسع في الإسلام.

إن نظام التعليم الذي اتخذته ندوة العلماء كان منذ سنواته السادسة بتأسيسها اعتناء بالغ بالجانب الديني والجانب الدنيوي، فركز مسئولوها بخطبهم وكتبهم على الجمع بينهما، ثم أنشأوا دارالعلوم تطبيقاً لهذه الخطة المرسومة عام ١٨٩٨م، وكان القصد وراء ذلك هو جمع كلمة المسلمين ووحدتهم، كان مبدأ هذه الحركة التعليمية بواسطة كبار العلماء والمثقفين المسلمين باجتماع عام في مدينة كانفور، كان في مقدمتهم الشيخ السيد محمد علي المونغيري والشيخ شبلي النعماني وأولو العلم والفضل الآخرون، منهم الشيخ السيد عبد الحي الحسني، ولما تأسست دارالعلوم قام بتطويرها تلامذة هؤلاء المشايخ رحمهم الله جميعاً.

هذا المنهج التعليمي الذي اتخذته ندوة العلماء كان في سنواته الابتدائية والمتوسطة مؤلفاً من مواد دنيوية ودينية لازمة، فكانت نسبة المواد الدينية أكثر بالنسبة إلى المواد الدنيوية، ليكون الاختصاص والمهارة في إحدى المواد، نظراً إلى متطلبات العصر يومذاك. وكان بعد المتوسطة نظام الاختصاص في العلوم الدينية، وكذلك في اللغة الإنجليزية والصحافة والألسنة.

الجمع بين التعليم والتربية:

أيها السادة!

التعليم والتربية مزدوجان، فمجرد التعليم ليس بشيء، وهو يتطلب تربية وثقافة، ويحتوي على ثلاثة جوانب: المقررات الدراسية والطلبة والأساتذة، ولكل منها خصائص ومزايا، مؤثرة، إن العلماء البارعين في العلوم الدينية يتركون آثاراً طيبة في المجتمع، لكن عدد

الطلاب المخلصين في هذا العصر المادي صار قليلاً، فإن أبناء المسلمين يتوجهون إلى العلوم العصرية كثيراً، وقليلاً ما يستوفون المتطلبات الدينية، ثم إن أساتذتهم الذين تعلموا العلوم العصرية، يعتبرونها حاجة أكيدة لهم، فهذه النظرية تؤثر في الطلاب تأثيراً، أما الجانب الثالث فهو المقررات الدراسية، لها أهمية كثيرة، ولا توجد فيها كتب تحمل أفكاراً دينية وطبيعة روحية، بذلت ندوة العلماء كل ما يمكن في إعداد الجيل الجديد، لكي يتخرج جيل يحمل كفاءات جيدة.

أبرز علماء ندوة العلماء في مختلف العصور:

نذكر على سبيل المثال العلامة السيد سليمان الندوي والشيخ عبد الباري الندوي والشيخ مسعود علي الندوي، والشيخ عبد السلام الندوي، والطبيب السيد عبد العلي الحسن، ولا يزال يتخرج من هذه المؤسسة علماء أكفاء في كل زمان، وظلت ندوة العلماء تتوخى غايتها المنشودة، فقد اعتنت خاصة بكل ما مست إليه الحاجة، ووضعت أمامها خطة إصلاح وتربية للعالم كله، وسعت سعياً مشكوراً في إبلاغ هذا النظام التعليمي الجامع إلى العالم كله.

أما الجيل الثاني فقد نشأ في ظرف عشرين أو خمسة وعشرين عاماً، فكان فيه على سبيل المثال الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسن الندوي والعلماء والمفكرون المعاصرون له، الذين أفادوا الأمة بتوجيهاته الفكرية والعلمية. منهم الشيخ معين الدين أحمد الندوي (رئيس دار المصنفين السابق، أعظم جراه) والشيخ مسعود عالم الندوي، والشيخ أبو الليث الإصلاحي الندوي (أمير الجماعة الإسلامية سابقاً) والشيخ عبد السلام القدوائى الندوي (معتمد التعليم لندوة العلماء، سابقاً)، والشيخ محمد عمران خان الندوي الأزهرى (مدير دارالعلوم لندوة

العلماء سابقاً)، والشيخ محمد أويس النجرامي الندوي (شيخ التفسير لدارالعلوم ندوة العلماء سابقاً)، والشيخ محمد ناظم الندوي (شيخ الجامعة العباسية بهاولفور سابقاً).

ثم جاء عصر تلامذة هؤلاء المشايخ، أخص بالذكر منهم الشيخ معين الندوي (نائب رئيس ندوة العلماء سابقاً) والشيخ الدكتور عبد الله عباس الندوي (معمد التعليم لندوة العلماء سابقاً) والشيخ أبو العرفان خان الندوي (القائم بأعمال المدير سابقاً) والشيخ مجيب الله الندوي (رئيس جامعة الرشاد، بأعظم جراه) والدكتور السيد سلمان الندوي (دربن، إفريقيا).

ثم جاء عصر العلماء الذين كان منهم بوجه خاص الشيخ السيد محمد الحسيني والشيخ إسحاق جليس الندوي (رئيس تحرير صحيفة تعمير حياة باللغة الأردية، الصادرة من ندوة العلماء) والشيخ السيد محمد واضح رشيد الحسيني الندوي (معمد التعليم لندوة العلماء سابقاً) والشيخ الدكتور سعيد الأعظمي الندوي (رئيس تحرير مجلة البعث الإسلامي، ومدير دارالعلوم لندوة العلماء) والدكتور تقي الدين الندوي (البروفيسور في جامعة العين بأبي ظبي سابقاً، ومعمد التعليم لندوة العلماء حالياً).

هكذا انتشر صيت ندوة العلماء في مدة قليلة خارج الهند اعترف بها القاصي والداني، فالفضلاء الذين يقومون بمخدمات تعليمية ودعوية في مناطق مختلفة من العالم أخص بالذكر منهم الدكتور عبد الوهاب زاهد الحلبي الندوي (كوريا الجنوبية) والدكتور سليم الرحمن خان الندوي (اليابان) والدكتور مزمل حسين الندوي (أمريكا) والشيخ علي آدم الندوي (إفريقيا الجنوبية) والأستاذ سعيد بنو الندوي (إفريقيا

الجنوبية) والدكتور أنس الندوي (أستراليا) والدكتور محمد أكرم الندوي (أكسفورد، لندن) والدكتور علي أحمد الندوي (جدة، المملكة العربية السعودية).

جهود متنوعة في مجال التعليم:

أقيمت في ندوة العلماء حسب مقتضيات الزمان أقسام ومستويات، فأنشأ خريجوها وفقاً لها مؤسسات تعليمية، وهي ملحقة بندوة العلماء، يبلغ عددها إلى ٣٩٧، ثم نشر أبناء ندوة العلماء شبكات التعليم العصري، مثل المدارس الإنجليزية، في مناطق مختلفة للبلاد، وفي دارالعلوم لندوة العلماء قسم خاص للطلاب الوافدين من المدارس والجامعات العصرية، وهم يتعلمون العلوم الإسلامية في خمس سنوات، وقسم للطلاب المتخرجين من المدارس الدينية الكبرى، وهم يتعلمون اللغة العربية والأدب العربي ويتخصصون فيهما، وكذلك أنشأ للبحث والتحقيق بعض المتخرجين مجامع وأكاديميات، وهي تقوم بنشر البحوث والدراسات الإسلامية، ومن أهم إنجازات ندوة العلماء في السنة الجارية إنشاء الموقع الإلكتروني، وقد تم هذا العمل بإشراف الأخ العزيز إسماعيل بهولا الندوي بأحسن أسلوب.

الغزو الفكري ومقاومته:

أيها الحفل الحضور!

نحن في أمس حاجة إلى أن نقوم بتعريف فكرة ندوة العلماء ومنهجها، وإنجازات أبنائها في مجال التعليم والتربية، ونحاول محاولة جادة في توسعة نطاق منهج ندوة العلماء، وهو منهج الفكر والدعوة ومنهج الاعتدال، لتجتمع الأمة على رصيف واحد، وتعم رسالة الوحدة في كل مكان، إن ما قام به الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسيني

الندوي من مواجهة الاستعمار الانجليزي ومقاومة التحديات المعاصرة هو باب مشرف في التاريخ الإسلامي، أثنى عليه العالم الإسلامي بأجمعه، وقد شاركه في هذا الجهاد الفكري ابن أخيه الأستاذ محمد الحسني وابن أخته الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي، فاعترف ببراعة هذين الأستاذين الإمام الندوي رحمه الله تعالى في كتابه: الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية. وفاة الأستاذ السيد محمد واضح الحسني الندوي خسارة للأمة الإسلامية:

كان الأستاذ السيد محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس الشؤون التعليمية لندوة العلماء، الذي انتقل إلى رحمة الله تعالى قبل شهرين، إن وفاته ليست خسارة لندوة العلماء فحسب، بل للأمة الإسلامية جمعاء، كان له نظر ثاقب في أوضاع العالم بمواهبه العلمية والفكرية والدعوية والتوجيهية، وكان مطلعاً على الأخطار والتحديات التي تحرق بالعالم الإسلامي، فلم تكن وفاته خسارة لندوة العلماء أو خسارة أشريّة أو شخصية، بل كانت خسارة للدعوة والفكر الإسلامي، كان لي خير مستشار وخير معوان، وبعد وفاته حدث فراغ في منصب رئيس الشؤون التعليمية فاقترح له اسم الأستاذ الدكتور تقي الدين الندوي، وقدم هذا الاقتراح أمام المجلس التنفيذي، فقام بتأييده، إن الشيخ تقي الدين الندوي عالم بارز، ومؤلف نابغ، وباحث مدقق، ومن كبار المحدثين في العالم الإسلامي، ومن أبناء ندوة العلماء القدامى. أيها السادة!

الحاجة ماسة إلى أن نواصل مسيرتنا التربوية في تخريج نوابغ الزمان، الذين يستنير منهم العالم على أوسع نطاق، وهم يحملون

كفاءات جيدة لمعالجة القضايا وحل المشكلات، ومن واجبات أساتذة دارالعلوم أن يتناولوا موضوع التعليم فكرياً وعقلياً وعملياً، ويصوغوا الطلاب صياغةً كاملةً وفق الشريعة الإسلامية، لئلا تتوقف مهمة إعداد رجال العمل، ولا يفكر علماؤنا في القضايا المحلية فقط، بل في القضايا العالمية بفكر أوسع نابع من الكتاب والسنة، وإذا فكرنا في هذا الموضوع من هذه الناحية قيض الله تعالى للأمة الإسلامية رجالاً يتميزون بمواهب متنوعة، ويحلون مشكلات العالم على صعيد عام، ويقدمون حلولاً للإنسانية المعاصرة، إن الجمع بين علوم الدين والدنيا لا يكون نافعاً حتى يستوفي حاجيات الأمة ويخلصها من آثار ضارة للاستعمار الغربي. فوسائل التعليم لها دور كبير في إحراز هذا النجاح، وفقنا الله تعالى له، وقدر له آثاراً طيبةً وتقبله قبولاً حسناً.

منهج ندوة العلماء:

أيها السادة!

تقوم فكرة ندوة العلماء ودعوتها في الدين والعقيدة على الدين الخاص النقي من الشوائب، البعيد عن تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين، وعلى العودة - في تلقيه وفهمه وتفسيره - إلى منابعه الصافية الأولى، ومصادره الصحيحة الأصلية، وفي العمل والسلوك على التمسك بلباب الدين والعمل بأحكامه والتحلي بحقيقته وروحه، والربانية المشرقة الصافية، وفي تصورها للتاريخ على أن خير العصور هو العصر الذي ظهر فيه الإسلام، والجيل المثالي هو الجيل الذي نشأ في أحضان النبوة، وتخرج في مدرسة القرآن والإيمان الأولى، وأن السعادة كل السعادة في الرجوع إليه والاقتداء به وفي نظرتها العلمية وفلسفتها التعليمية.

يحسن لي أن أكتب بهذه المناسبة ما قاله العلامة شبلي النعماني

بمداد من النور: إن رقي أهل الدنيا في أن يتطوروا ويتقدموا حتى يلحقوا
بالأمم الحضارية المتقدمة، ولكن ازدهار المسلمين في أن يتأخروا
ويتأخروا حتى يلحقوا بالقرون المشهود لها بالخير.

وأختم كلمتي هذه على ما كتبه الإمام السيد أبو الحسن علي
الحسنى الندوي عن منهج ندوة العلماء: "وتقوم فكرة ندوة العلماء
ودعوتها فيما اختلف فيه السلف من مذاهب وآراء على التحقيق
والتطبيق وإحسان الظن بهم، والتماس العذر لهم، وترجيح ما هو أوفق
بالكتاب والسنة، وأقرب إلى جمع الشمل، وأبعد عن الفرقة والتنافر،
وأقرب إلى مصلحة الإسلام الاجتماعية، وبالجملية فهي أقرب إلى
مدرسة حكيم الإسلام الشيخ أحمد بن عبد الرحيم المعروف بولي الله
الدهلوي المتوفى ١١٧٦هـ العلمية الفكرية والكلامية والفقهية، وبذلك
فندوة العلماء مدرسة فكرية شاملة أكثر من مركز تعليمي يقتصر على
تعليم الكتب أو العلوم واللغات".
وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مشكلات المسلمين وكيفية معالجتها (*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأنبياء والمرسلين وخاتم النبيين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد:

فإن هذا الاجتماع يعقد في ظروف سادت العالم كله آثار جائحة كورونا، فعطلت نشاطات حياتنا السابقة، واستمرت هذه الأحوال منذ سنتين، انتظرنا قليلاً، لتكون الأحوال صالحةً للتشاور والاجتماع، فعقدنا هذا الاجتماع، ووجهنا إليكم دعوةً للحضور فيه ومشاركة أعمال وفعاليات هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند.

أيها السادة! ظل المسلمون في الهند بعد تحريرها في أقلية، فتعرضوا لقضايا ومشكلات، منها القانون المدني الموحد، وصدرت قوانين وأقضية كانت تعارض شريعتنا الإسلامية، فاحتاج العلماء والمثقفون الإسلاميون إلى عقد اجتماع عام ١٩٧٢م، وكان هذا الاجتماع أول نواة لإنشاء هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند، وقد قامت الهيئة بصيانة الشريعة الإسلامية بحكمة وبصيرة، قادها خلال هذه المدة

(*) عقدت هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين لعموم الهند اجتماعها السابع والعشرين في مدرسة دار التعليم والصناعة بمدينة كانفور، في الفترة ما بين ٢٠ - ٢١ / ١٢ / ٢٠٢١م، برئاسة سماحة الشيخ السيد محمد الرابع الحسني الندوي (رئيس الهيئة ورئيس ندوة العلماء)، وقد تم انتخابه للرئاسة للمرة السادسة (بارك الله في حياته)، وقد قدم سماحته بهذه المناسبة خطبةً رئاسيةً، نشر ترجمتها تعميماً للفائدة.

كبار علماء الهند أمثال الشيخ المقرئ محمد طيب، والشيخ منت الله الرحمانى، والشيخ السيد أبو الحسن على الحسنى الندوي، والقاضى مجاهد الإسلام القاسمى، وكان من مساعديهم الشيخ السيد نظام الدين، والشيخ محمد ولى الرحمانى، وقد توفي الشيخ ولى الرحمانى قبل شهور، فاختر مكانه الشيخ خالد سيف الله الرحمانى أميناً عاماً للهيئة، وكذلك توفي الدكتور كلب صادق نائب رئيس الهيئة، وكانت له جهود تعليمية مفيدة. أدعو الله تعالى أن يوفق القائمين على شئون الهيئة لأداء مسئولياتهم الملقاة على كواهلهم.

أيها الحفل الحضور! ما زالت هيئة قانون الأحوال الشخصية لعموم الهند تقوم بخدمات واسعة لصيانة الحقوق الدينية لمسلمى البلاد، وقد سمح الدستور الهندي أصحاب الديانات كلها بالعمل بتعاليم دياناتهم، فكان للمسلمين حرية كاملة للعمل بتوجيهات دينهم، وبناءً على هذا كان المسلمون يعتبرون هذه البلاد بلادهم، ويساهمون في صيانتها وتطويرها أمثال سكانها الآخرين، ويظنون ذلك واجباً وطنياً لهم، فإذا كان الدستور الهندي معرضاً للخطر، أو يرى فيه التعديل والتغيير ضرورياً يلزم على المسلمين أن يختاروا الطرق المناسبة لصيانة الدستور بطريق جمهوري.

أيها السادة! يعاني المسلمون الآن ظروفاً وأوضاعاً كما كانوا يعانونها حينما تأسست هيئة قانون الأحوال الشخصية للمسلمين، فقد ارتفعت آنذاك من بعض الأوساط للأغلبية الساحقة هتافات للتغيير في الأحوال الشخصية أو للحد من تأثيرها، فلو وجدت هذه المحاولات في ذلك الزمن سيلاً إلى العمل لكان العمل بالشرعة الإسلامية صعباً، وحرّم المسلمون من قوانينهم الدينية والشخصية، ولم تكن لهم علاقة بالإسلام، لكن لم يخضع المسلمون أمام هذا التحدي السافر، وقاموا

بإنشاء هذه الهيئة في ضوء دساتير البلاد للدفاع عن قانون الأحوال الشخصية، وكانت هذه الخطوة لازمة ونافعة، وشكلت الهيئة وحدةً جماعية، وكثفت لها جهودها، وكان هذا جهاداً كبيراً في سبيل صيانة الشريعة الإسلامية، ومما يسرُّ الجميع أن رؤساء جميع الجماعات والفئات المسلمة في الهند كانوا يداً واحدةً في تعزيز الهيئة وتقوية أعمالها. مما لا يغض عنه النظر أن طرق الفكر والدراية وأساليب الاستنتاج بين أعضاء جماعة أو هيئة تكون مختلفة ومتباينة، لأنها تنبني على وجهات نظر مختلفة، وآراء متغايرة، فنظراً إلى المصالح العامة للأمة يكون من الواجب أن لا تنشئ هذه الآراء تصادماً فكرياً أو خلافاً معارضاً، ويعمل في مثل هذه الأمور الحزم والروية وشئ من الصبر والاستقامة، لأن الإنسان مخلوق حي، إنه ليس مثل الجماد، وبين أحاسيس الإنسان والجماد فرق كبير، ومما يمتاز الإنسان به عن سائر المخلوقات أنه يعمل لأرفع غاية رغم هذا التباين بتعاونه وصبره، ونحمد الله تعالى على أن أعضاء الهيئة مواظبون على هذا إلى حد كبير.

القوة المعنوية للهيئة هي موافقة مسلمي الهند عليها موافقة تامة، هذا الذي يدعم أعمالها، ويؤثر على الآخرين، فالحاجة إلى أن لا تكون هذه الوحدة ضعيفة، وتتخذ الهيئة نظام الشورى، فإن إبداء رأي خاص أو فكرة تضاد دستور الهيئة يضر بوحدة الهيئة وقوتها المعنوية، ولا يسمح أي نظام للشورى بمثل هذه الاقتراحات، فيتطلب من جميع أعضاء الهيئة أن يقوموا للاحتفاظ بهذه القوة الموحدة، فإذا كان هنا رأي فردي لأي عضو فيمكن إبداءه بدون انتمائه إلى عضوية الهيئة، ولا يُسمح بإبدائه في أجهزة الإعلام، لأنه يضر بمصالح الهيئة.

أيها المستعمون الكرام! يعرف المطلعون على نشاطات الهيئة أن العمل

الرئيسي الذي تأسست لأجله الهيئة هو صيانة الشريعة الإسلامية، والجزء المهم للشريعة القوانين العائلية، فكان نظام صيانة الشريعة من أولويات الهيئة، وإن كان قد تخلل بينها قضايا وأمور، قدمت الهيئة لها عوناً كبيراً، لكن الشريعة الإسلامية كانت نصب الهيئة، وقد أنشئت لها لجان ومنظمات منها لجنة تفهيم الشريعة، ونظام إنشاء دور القضاء في البلاد.

بحمد الله وتوفيقه نحن المسلمين نعرف الشريعة الإسلامية ونطبقها في حياتنا، لكن هذا لا يكفي، لا بد لنا أن نخبر أبناء وطننا بأهمية هذه الشريعة وميزاتها، فإنها شريعة منزلة من السماء، تشتمل على أحكام وتعاليم كثيرة، فيها العقائد والعبادات والشئون العائلية (وهي تعرف بالأحوال الشخصية)، وفيها توجيهات وواجبات أخرى للمسلمين، فإن الإيمان بها والعمل بتفاصيلها لازم للإيمان، فهذه الأمور اللازمة لا يتحمل المسلمون فيها أدنى نقص أو تعديل من أي جهة رسمية أو غير رسمية، قال الله تعالى: **فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا** (النساء: ٦٥)، وقال تعالى: **وَمَنْ لَّمْ يُحَكِّم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ** (المائدة: ٤٤)، فلا يسوغ للمسلمين أدنى تغيير أو تبديل في الشريعة الإسلامية، فهذه أمور أساسية يتوقف عليها إيمانهم، ويسمح الدستور لكل مواطن بأن يعيش حسب ديانته ويعمل بها.

أيها السادة! تمر الأمة الإسلامية في العصر الراهن بمحن وأخطار، تبعث على الفكر والتأمل، فإن دراسة هذه الأحوال واتخاذ طرق ووسائل حلها حاجة الساعة، يواجه أفراد الأمة في أكثر بقاع العالم قضية البقاء على إيمانهم وعقيدتهم، وإن ما يتكاسل المسلمون من معالجة هذه القضية يسبب ذلك إلى حدوث خلل وإحاد في إيمانهم:

خاصةً في شبابهم، فتفقد الأمة ميزتها الإسلامية رويداً رويداً، يقدم أهل الثقافة والفكر حلولها في ضوء أفكارهم ونظرياتهم، وتركز جل عنايتهم على إسعاد الأمة مادياً فقط، ولا يلتفت هؤلاء المثقفون إلى الأخطار التي تحدق بإيمان المسلمين ودينهم، ولا توجد لديهم نظم وأيدولوجيات لبقاء الشباب والنشء الجديد على عقيدتهم الإيمانية، فتأتي أماننا أمثلة كثيرة لهذا الواقع الأليم، فإن الناشئة الجديدة لا تعرف الكلمة الطيبة، وقد وقعت في حباله الشرك والكفر، بحيث تسجد أمام الأصنام والأوثان، وتعتقد عن الله تعالى اعتقادات باطلة.

هذا واقع ملموس في مجتمعاتنا، وهو الذي يقض مضاجع أولى الغيرة من المسلمين، يحدث مثل هذا الواقع حينما يكون التركيز على المادية وكسبها، ولا يكون في الحياة نصيب لابتغاء وجه الله تعالى، فإن الأجيال الناشئة إنما تنشأ على عقائد إيمانية وأخلاق طيبة في البيوت، فإذا لم يكن هناك اعتناء بهذا الجانب فتكون هذه الأجيال محرومة من نعمة الدين والإيمان، وتزيد البيئة المزوجة بالكفر والشرك داخل الكليات والجامعات وخارجها هذا اللون اللاديني، فتتصبغ بهذه الصبغة، هذا ما يحدث مع أولاد المسلمين، وتكون بيئة البيوت خالية من التربية الدينية، ثم يواجه هؤلاء الأولاد أجواء غير ملائمة خارج البيوت، فتكون ذريعة لغوايتهم وضلالهم.

هذا ما يحدث بتركيز المثقفين والزعماء عنايتهم على الرقى المادي والرفاهية الجيدة، وهو يثير غضب الله تعالى، فتقهقر الأمة إلى الانحطاط والزوال، شهد التاريخ الإسلامي خلال أربعة عشر قرناً أن مجتمعات المسلمين كلما ضعفت في العقائد والأخلاق، وأصيب بها فساد وانحطاط نزل عليها عقاب من الله تعالى، وهذا العقاب إما كان في صورة اعتداءات أمم كافرة على المسلمين، أو كان في صورة الذلة والمهانة

عليهم، ولا مانع من أن نفكر في أحوال أولادنا المعاشية والاقتصادية، لكن حصر جميع طاقاتنا في هذا الجانب ضار للغاية، وابتلى بهذا العمل أهل الثقافة العصرية عامة.

أيها المستمعون الكرام! نحن مطالبون بأن نتخذ التدابير المناسبة لتغيير هذا الواقع، حتى لا ينضم مجتمعنا في مجتمعات غير المسلمين، وتبتدئ هذه السلسلة بإتاحة فرص التعليم الديني للأولاد في المرحلة البدائية، ثم تتوافر مناسبات دينية للشباب المسلمين ليطلعوا على شعائر دينهم، ودعائم إيمانهم، كما نحن مطالبون بأن نهتم بإصلاح المسلمين وتزويدهم بالمثل الإسلامية على أوسع نطاق، وتكون مدارسنا الإسلامية في هذا الشأن خير وسيلة، فضلاً عن أن نكون تابعين لبرامج الحكومة اللادينية وننفذ قراراتها في حياتنا الفردية والجماعة.

والجدير بالذكر أن الله تعالى جعل الأمة المسلمة أمة دعوة، فإذا اتخذت الأمة عمل الدعوة إلى الله تعالى تعرفت أذهان الناس بتعاليم الإسلام، وزالت بذلك الأغلوطنات والتساؤلات التي نشأت فيها، وتقارب الناس فيما بينهم، وأنس بعضهم ببعض، وكنا قد أدينا مسئولياتنا نحو الإنسانية، لكن يشترط في هذا العمل الحكمة والمواساة والحب، لأن الإكراه في الدعوة إلى الله محظور شرعاً، وإذا واجهتنا المشكلات فلا بد من أن نتواصى بالصبر، هذا ما ورد في سورة والعصر: قال الله تعالى: وَأَلْعُزِرْ. إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ. إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ (العصر: ١ - ٣) يعيش في هذه البلاد المسلمون منذ أمد بعيد، لكن الشيء الذي يثير الاستغراب أنهم لم يؤثروا تأثيراً قوياً على أهاليها ومواطنيها، هذه وقفة تأمل وفكر، هل قصرنا في عمل الدعوة إلى الله

على أوسع نطاق؟ على كل، نحن مسئولون عن أداء هذا الواجب، وهو حاجة الساعة.

أيها السادة! المسلمون في هذه البلاد في أقلية، والأقلية أينما كانت، تحتاج بالنسبة إلى الأغلبية إلى جهد وسعى بالغين، فلا تنجح الأقلية في غاياتها بكثرة أنصارها، ونعراتها الجوفاء، وإبداء استنكاراتها، وبوجه خاص في بيئة كانت تبذل فيها الأغلبية لإضعاف الأقلية طاقاتها الجبارة بكل طريق ممكن، ففي هذه الأوضاع تتضاعف المسئوليات وتتصاعد، إن التعليم وأجهزة الإعلام من أهم الوسائل في هذا الزمان، يمكن السيطرة عليهما بتكثيف الجهود، أضف إلى ذلك الوحدة والتضامن التي هي العمود الفقري للرقى الإنساني، وهي تتطلب تضحيات وجهوداً جبارة، فيجب علينا أن نصبر على اختلافاتنا بأقصى ما يمكن، ولا نجعل الاختلاف سبباً للعداوة والبغض، وإذا كانت وحدتنا الملية قوية فلا يمكن أن يضعفها أحد، لكن يا للعجب أن الاختلاف يصل بالمسلمين إلى العداوة، وتحل العاطفية في أعمالنا محل الفهم والدراية، وهو يضر بوحدتنا، ولا يمكننا أن نواجه الأوضاع والظروف، إن كثيراً من جهودنا تطرق إليها الفساد جراء عاطفتنا، وكنا راسبين، وقد رأينا أن بعض أعمالنا كانت تحتاج إلى إخفائها أو أدائها بأسلوب صامت، لكن الإعلان عنها وإفشاء أمرها أضربها، فالحاجة إلى اتخاذ استراتيجية في حياتنا، وهذا ما هدانا إليه القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف.

هذا ما بدا لي أن أضعها أمامكم بهذه المناسبة، ندعو الله تعالى أن يوفقنا للعمل لا بتغاء وجهه الكريم، وأن يجعل مساعينا مشكورة، ويتقبلها قبولاً حسناً، والحمد لله أولاً وآخراً، وصلى الله على نبيه الأكرم وخاتم الرسل سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

المحتويات

٥	بين يدي الكتاب
٧	الصحابة الكرام رضي الله عنهم ومكانتهم الرفيعة
١٧	الإيمان والمادية وصراعهما في الحياة الإنسانية
٢٨	التعليم الديني للناشئين وملاحمه الإيجابية
٣٤	التعليم والدعوة وتأثيرهما على المجتمع
٤٠	الأوضاع المعاصرة، وطرق معالجتها
٤٩	مركز الوسطية ورسالته للمجتمع
٥٧	مشكلات المسلمين وكيفية معالجتها
٦٤	المحتويات